مجلة أبوليوس
المجلد 12 العدد 2 – جويلية 2025
الصفحات: 26- 44

الشعر: صدوع الإمبراطورية/فجوات التنظير– تفكير في راهن الشعر-

Poetry: The Cracks of the Empire/ Gaps in Theorization – Reflections on the Current State of Poetry

د. خميسي أدامي*
مخبر المتخيل النقدي المعاصر والدراسات الحداثية في الفكر واللغة والأدب
جامعة عباس لغرور- خنشلة- (الجزائر)، adamikhemissi@univ-khenchela.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/15 تاريخ القبول: 2025/06/30 تاريخ النشر: 2025/07/31

ملخص البحث:

هَذِهِ الدِّرَاسَةُ تُفَكِرُ فِي الشِّعْرِ المُعَاصِرِ، وَعَيْنُهَا عَلَى الشِّعْرِ العَرَبِيِّ تَحْدِيدًا، تَطْرَحُ السُّؤَالَ حَوْلَ وَاقِعِهِ، وَتُحَاوِلُ مُعَايَنَةَ زَمَنِيَتِهِ؛ المُتَعَيِّنَةَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، حَيْثُ تَبْدُو هُوِيَّةَ وَحَرَكِيَةَ هَذَا الشِّعْرِ مَنْذُورَةً لِلْقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ، يَتَسَرَّبَانِ إِلَى نَسْغِهِ الحَيِّ، بِفِعْلِ القَلَقِ الَّذِي يَلَفُ الثَّقَافَةَ العَرَبِيَّةَ وَالعَالَمِيَّةَ.

تَتَّجِهُ كَثِيرٌ مِنْ مَقَاصِدِ هَذِهِ المُقَارَبَةِ إِلَى مُحَاوَلَةِ الإِمْسَاكِ بِالتَّحَوُّلَاتِ المُقْلِقَةِ دَاخِلَ هَذِهِ الإِمبرَاطُورِيَّةِ الَّتِي كَانَتِ فِي أَزْمِنَتِهَا الغَابِرَةِ، مُتَرَامِيَّةً، لِتَصِلَ فِي رَاهِنِهَا إِلَى وَضْعٍ، تَقَلَّصَتْ فِيْهِ الحُدُودُ، وَانْكَمَشَتْ دَائِرَةُ التَّدَاوُلِ وَالحُضُورِ، لِيَتَّجِهَ الشِّعْرُ طَوْعًا أَو كَرْهًا إِلَى الانْدِسَاسِ والهِجْرَةِ إِلَى فُنُونٍ أُخْرَى .

تُفَكِّرُ الدِّرَاسَةُ أَيْضًا، فِي هَذِهِ التَّحُولاتِ، مُسْتَنِدَةً فِي نَظَرِهَا إِلَى مَنْطِقٍ تَزَامُنِيٍّ يُحَاوِرُ هَذَا الشِّعْرَ فِي أُفُقِ تَحَقُّقِهِ الفِعْلِيِّ، وَتَمَّ التَّرْكِيزُ عَلى عَلَاقَةِ الكِتَابَةِ الشِّعْرِيَّةِ بِالثَّوَرَاتِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ هُدُوءًا وَلَا رَوِيَّةً، وَتَسَاءَلَتِ عَنْ عِلَلِ انْطِفَاءِ حَرَائِقِهِ الَّتِي عَرَفَتْهَا الأَجْيَالُ السَّابِقَةُ مِنَ القُرَّاءِ. وتَتَهَجَّسُ الدِّرَاسَةُ، أَخِيرًا، بِفَجَوَاتِ النَّظَرِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ، إِذْ يَبْدُو أَنَّهَا مُتَأَخِّرَةٌ نِسْبِيًّا عَنْ مُوَاكَبَةِ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ، مُتَعَثِّرَةٌ فِي اللِّحَاقِ بِسُرْعَتِهَا، وَتُرَكِّزُ الدِّرَاسَةُ هُنَا عَلَى تَحْدِيدِ مَا تَرَاهُ مَنَاطِقَ رَخْوَةً، تَظَلُّ بِحَاجَةٍ إِلَى تَنْظِيرٍ جَدِيدٍ أَوْ مُسْتَأْنَفٍ.

الكلمات المفتاحية: الشِّعْرُ؛ الشِّعْرُ العَرَبِيُّ المُعَاصِرُ؛ التَّحَوُّلَاتُ الشِّعْرِيَّةُ؛ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ؛ فَجَوَاتُ النَّظَرِيَّةِ.

Abstract:

This study examines contemporary poetry, focusing on Arabic poetry, raising questions about its current condition and examining its temporal evolution, especially during the second half of the twentieth century. It explores how anxiety and instability shape its identity, reflecting the anxiety surrounding both Arab world and global cultre. Once expansive and influential, poetry now faces diminishing boundaries and reduced circulation, leading to its retreat or integration into other artistic forms. Adopting a synchronic analytical approach, the study investigates poetry's relationship with rapid technological revolutions, questioning the decline of its once-powerful influence. Additionally, it examines the gaps in poetic theory, which struggles to keep pace with these shifts. Ultimately, the study aims to pinpoint weak area that remain in need of renewed or revised theorization.

Keywords: Poetry; Contemporary Arabic Poetry; Poetic Transformations; Poetic Theory; Gaps in Theory.

* المؤلف المراسل

***- استدراج السؤال:**

تَحْتَشِدُ أَمَامَ أَبْوَابِ قَلْعَةِ الشِّعْرِ – مُنْذُ بَدْءِ التَّخَلُّقِ الأَوَّلِ إِلَى رَاهِنِ اللَّحْظَةِ القَائِمَةِ – جُهُودُ تَنْظِيرٍ وَشَرْحٍ وَتَفْكِيرٍ تَنُدُّ عَنِ الحَصْرِ، مَعَامِلُ اشْتِغَالٍ فَلْسَفِيٍّ وَنَقْدِيٍّ؛ يَضْرِبُ بَعْضُهَا بَعِيدًا فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ، وَيَتَزَامَنُ بَعْضُهَا الثَّانِي مَعَ تَحَوُّلَاتِ هَذِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ وَحَالَاتِهَا المُتَلَوِّنَةِ؛ خُصُوبَةً وَمُحُولًا، انْدِفَاعًا وَنُكُوصًا، امْتِدَادًا وَانْحِسَارًا...

تَتَّسِعُ جُهُودُ "التَّفْكِيرِ" هَذِهِ وَتَتَمَدَّدُ فِي أَرْضِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ وَأَصْقَاعِهَا، تَجُوسُ رَخِيَّةً سَخِيَّةً مُتَعَاطِفَةً حِينًا، وَتَغُوصُ مُدْيَةً قَاسِيَةً صَلْدَةً فِي تُرْبَتِهَا حِينًا ثَانِيًا، وَتَعُودُ جَمِيعًا؛ فَيَدَّعِي بَعْضُهَا مُحَاصَرَةَ حُدُودِ الشِّعْرِ وَامْتِلَاكَ أَمْرِهِ، وَتُعْلِنُ الأُخْرَى تَهَاوِيَهَا وَعَجْزَهَا عَنْ الاقْتِحَامِ، إِذْ فِي الشِّعْرِ مَنَاطِقُ مُمانَعَةٍ وَوُعُورَةُ مَسَالِكٍ، لَا تَتَجَرَّأُ النَّظَرِيَّةُ عَلَى مُنَاوَشَتِهَا...

لَكِنْ...

لِمَاذَا يَشْعُرُ قُرَّاءُ الشِّعْرِ المُعَاصِرِونَ -عَلَى قِلَّتِهِمْ- وَنُقَّادُهُ وَدَارِسُوهُ المُتَخَصِّصُونَ الكَثِيرُونَ، بِأَنَّ نَظَرِيَّةَ الشِّعْرِ لَمْ تَقُلْ كُلَّ شَيْءٍ، كَشَأْنِ كُلِّ نَظَرِيَّةٍ؟ وَبِأَنَّ تَحَوُّلَاتٍ رَاهِنَةً وَكَثِيرَةً تَتَّصِلُ بِالشِّعْرِ، وَتَتَعَلَّقُ بِأَعْمَقِ أَسْئِلَةِ حَيَاتِهِ أَوْ مَوْتِهِ، تَحْدُثُ تَحْتَ أَقْدَامِهَا دُونَ أَنْ تَنْتَبِهَ إِلَيْهَا، أَوْ يَجِبَ أَنْ تَنْتَبِهَ إِلَيْهَا؛ أَسْئِلَةُ الحُضُورِ وَالغِيَابِ، وَالسُّطُوعِ وَالأُفُولِ، فِي عَالَمٍ لَا يَنِي يُحَرِّضُ عَلَى السُّيُولَةِ وَاللَّاكَثَافَةِ الَّتِي تُضَادُّ الشِّعْرَ أَوْ يُضَادُّهَا وَيَتَدَابَرُ مَعَهَا، وَتُحَفِّزُهَا مَوْجَةُ التَّسْطِيحِ الَّذِي يَسْتَشْرِي دَاءً عُضَالًا.

أَلَا تَبْدُو نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ وَكَأَنَّهَا مَدْعُوَّةٌ، لَا إِلَى النَّظَرِ فِي التَّفْرِيعَاتِ وَالتَّفْصِيلَاتِ، وَلَا حَتَّى إِلَى المَسَائِلِ الخِلَافِيَّةِ المُتَّصِلَةِ بِمَوْضُوعِهَا الَّذِي هُوَ الشِّعْرُ، بَلْ هِيَ مَدْعُوَّةٌ، وَرُبَّمَا بِدَرَجَةٍ أَحْرَى وَأَعْمَقَ، إِلَى مُرَاجَعَةِ الأُصُولِ وَالبَدَايَاتِ وَالأُوَّلِيَّاتِ؟ ذَلِكَ أَنَّ مَا يَحْدُثُ فِي رَاهِنِ الشِّعْرِ عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ عَالَمِيًّا، مِنْ هَزَّاتٍ وَتَحَوُّلَاتٍ وَانْكِسَارَاتٍ، سَيَدْفَعُ، وَرُبَّمَا وَجَبَ أَنْ يَفْعَلَ، إِلَى إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الأُصُولِ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْهَا نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ.

لَمْ تَكُنْ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ تُفَكِّرُ، مَثَلًا، فِي عَالَمٍ يَنْسَحِبُ مِنْهُ الشِّعْرُ، أَوْ يَتَرَاجَعُ فِيهِ نَمُوذَجُ الشَّاعِرِ، لِصَالِحِ تَصَاعُدِ عَنَاصِرَ أَوْ أَطْرَافٍ وَحَتَّى أَشْكَالٍ تَعْبِيرِيَّةٍ، تَبَعًا لِانْتِشَارِ وَحَاجَةِ المُجْتَمَعَاتِ لِأَدْوَارٍ أُخْرَى، لَا يَحْتَلُّ الشَّاعِرُ مُقَدِّمَتَهَا، وَيَنْدَسُّ فِيهَا الشِّعْرُ أَوْ يُهَاجِرُ إِلَى أَجْنَاسٍ أَدَبِيَّةٍ أُخْرَى.

هَلْ فَكَّرَتْ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ، مَثَلًا، فِي السُّؤَالِ الآتِي: مَاذَا يَحْدُثُ حِينَ يَعْجِزُ الشِّعْرُ وَالشُّعَرَاءُ عَنْ خَلْقِ قَارِئٍ جَدِيدٍ؟ ذَلِكَ أَنَّهُمَا ضَيَّعَا قَارِئَهُمَا "القَدِيمَ"، القَارِئَ الَّذِي يَنْتَظِرُ صُدُورَ دِيوَانٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ، مَدْفُوعًا بِصَبَابَةٍ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ اللِّقَاءِ، كَمَا عَبَّرَ المُتَنَبِّي ذَاتَ بَيْتٍ[1]، وَيَنْتَصِرُ لِلْقَصِيدَةِ الَّتِي تُحَرِّضُ عَلَى الحَيَاةِ، وَتَهْزِجُ بِأَغَانِيهَا... قَبْلَ أَنْ يُولَدَ قَارِئٌ، أَوْ يَتَشَكَّلَ مِزَاجُ قِرَاءَةٍ مُخْتَلِفٍ؛ سَرِيعٍ، عَابِرٍ، وَجَوَّالٍ... وَلَا تَطْمَئِنُّ ذَائِقَتُهُ لِلنُّصُوصِ الطَّوِيلَةِ!

بَلْ إِنَّ الأَمْرَ لَيَدْعُو فِعْلًا إِلَى تَحَسُّسِ قَلَقِ السُّؤَالِ، عَرَبِيًّا وَعَالَمِيًّا، لِمَ لَمْ يَعُدْ مُمْكِنًا أَنْ نَتَحَدَّثَ اليَومَ، الآنَ وَهُنَا، عَنْ شَاعِرٍ فِي قَامَةِ "**مَحمود درويش**" عَرَبِيًّا، وَفِي خَامَةِ "**بَاول سليان**[2] Paul Celan"عَالَمِيًّا؟ وَلِمَاذَا لَا يَتَحَدَّثُ الشُّعَرَاءُ المُعَاصِرُونَ حَيْنَ يَلْتَفُونَ إِلَّا عَنْ أَزْمَةِ الشِّعْرِ أَو أَزْمَاتِهِ؟ أَمْ إِنَّ طَرْحَ هَذَا السُّؤَالَ يُنَافِي وَاقِعَ الشِّعْرِ وَالشُّعَرَاءِ، فَالشِّعْرُ قَائِمٌ لِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ الحَيَاةِ، وَالشُّعَرَاءُ "مُوجُودُونَ". كُلُّ مَا فِي الأَمْرِ أَنَّ الشِّعْرَ – كَمَا تُؤَكِّدُ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ دَائِمًا- يَتَوَجَّسُ خِيفَةً مِنَ أَنْ يَتَحَوَّلَ أَو يَتَشَكَّلَ دَاخِلَ نَمُوذَجٍ مُسْتَقِرٍ وَنَاجِزٍ، إِذْ هُوَ كَمَا يَنْقُلُ **أَدُونِيس** عَنِ الشَّاعِرِ الفِرَنْسِيِّ" **رنيه شار René Char**" :" كَشْفٌ عَنْ عَالَمٍ يَظَلُّ أَبَدًا فِي حَاجَةٍ إِلَى كَشْفٍ.[3]" فَالشِّعْرُ أَخِذٌ فَقَطْ

فِي تَبْدِيْلِ أَثْوَابِهِ، وَكُلَّ كَلِمَةٍ تَأْبِيْنِيَّةٍ لَهُ، هِي مِمَّا يُنَاقِضُ مَنْطِقَ الوُجُودِ وَالحَيَاةِ وَالفَنّ. فَالشِّعْرُ مُوجُودٌ فِي الشِّعْرِ الَّذِي يُكْتَبُ اليومَ، وَفِي الرِّوَايَةِ، وَهُوَ يُواصِلُ حُضُورَهُ مُنْدَسًا وَمُهَاجِرًا إِلى أَجْنَاسٍ أُخْرَى كَثِيْرَةٍ؛ فِي السِّيْنِمَا وَفِي المَسْرَحِ وَفِي المُوسِيْقَى وَفِي الأُغْنِيَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تَعِيْشَ بَعِيْدًا عَنْهُ؟

1- استئناف السؤال:

لَيْسَ فِي مَقْدُورِ المُتَتَبِّعِ لِحَرَائِقِ الشِّعْرِ، وَالشِّعْرِ العَرَبِيّ تَحْدِيدًا، أَنْ يُنْكِرَ الإِنْجَازَاتِ وَالكُشُوفَ وَالمُغَامَرَاتِ الجَسُورَةَ الَّتِي انْتَصَرَتْ فِيهَا القَصِيدَةُ العَرَبِيَّةُ مُنْذُ بَدَايَاتِهَا الأُولَى لِلإِنْسَانِ وَأَشْوَاقِهِ المُدَوّمَةِ لِلْحَيَاةِ وَالحُضُورِ وَالدَّهْشَةِ، غَيْرَ أَنَّ المُتَتَبِّعَ نَفْسَهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْكِرَ أَيْضًا، أَنَّ مَدِينَةَ الشِّعْرِ - وَالشِّعْرِ العَرَبِيّ المُعَاصِرِ تَحْدِيدًا - لَمْ تَعُدْ مُأْهُولَةً بِالخَيَالِ العَظِيمِ، وَلَمْ تَعُدْ قَادِرَةً عَلَى اجْتِرَاحِ القَصِيدَةِ الَّتِي تَحْرُثُ فِي أَرْضِ الوَعْيِ وَالذَّوْقِ وَالتَّلَقِّي، يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا عَلَى الأَلْسِنَةِ، وَتَتَغَنَّى بِهَا الأَجْيَالُ فِي مَوَاسِمِ الانْتِصَارِ أَوْ فِي مَضَائِقِ التَّعَثُّرِ وَالسُّقُوطِ وَالهَزِيمَةِ؛ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ النُّصُوصِ فِي أَزْمِنَةِ القَهْرِ الاسْتِعْمَارِيّ، وَفِي مَرَاحِلِ الانْبِثَاقِ وَالبِنَاءِ وَالهُبُوبِ.

لَقَدْ دَخَلَتِ القَصِيدَةُ العَرَبِيَّةُ المُعَاصِرَةُ مُعْتَرَكًا سَمَّاهُ النَّقْدُ "تَجْرِيبًا"، جَرَّبَتْ كُلَّ مَا أُتِيحَ لَهَا؛ تَشَكَّلَتْ فِي أَكْثَرَ مِنْ إِهَابٍ، وَأَخَذَتْ تَمْتَاحُ مِنْ كُلِّ التَّجَارِبِ الشِّعْرِيَّةِ العَالَمِيَّةِ الَّتِي اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَطَالَهَا عَبْرَ قَنَوَاتٍ كَثِيرَةٍ، انْخَرَطَ بَعْضُهَا الكَثِيرُ فِي حَدَاثَةٍ اعْتَوَرَتْهَا كَثِيرٌ مِنَ الأَعْطَابِ وَالمَآزِقِ، وَظَلَّ بَعْضُهَا يَتَأَنَّى مُتَجَنِّبًا وَقْعَ ضَرَبَاتِهَا القَاصِمَةِ أَوِ البَانِيَةِ! وَتَرَاكَمَتْ بَيْنَ يَدَي شَاعِرِ هَذِهِ القَصِيدَةِ صِيَغُ كِتَابَةٍ بَدَتْ لَهُ مُخْتَلِفَةً، وَلُغَةٌ مُتَذَرِّرَةٌ مُتَشَظِّيَةٌ، وَصَالِحَةٌ لِلْكِتَابَةِ. طَالَمَا هِيَ تَنْتَصِرُ لِلقَلَقِ وَالتَّجَاوُزِ وَالتَّبَرُّمِ مِنَ الأَقْنِعَةِ القَدِيمَةِ. "دَعْ مَا يَنْهَارُ يُوَاصِلُ انْهِيَارَهُ، يَبْزُغُ البَدِيلُ مِنْ بَيْنِ الرُّكَامِ."[4] هَكَذَا يَكْتُبُ **محمود درويش** فِي إِحْدَى رَسَائِلِهِ لِصَدِيْقِهِ **سميح القاسم**.

لَقَدْ جَرَّبَ الشَّاعِرُ كُلَّ "أَكَاذِيبِهِ" لِيَقْبِضَ عَلَى الحَقِيقَةِ.

وَلَيْسَ فِي مَقْدُورِ المُتَتَبِّعِ لِحَرَكِيَّةِ القَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ أَنْ يُنْكِرَ، مَرَّةً أُخْرَى، أَنَّ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ الَّتِي مَسَّتْ بِنْيَةَ هَذِهِ القَصِيدَةِ، وَوَجَّهَتْ مَسَارَهَا، وَصَاغَتْ أُفُقَهَا، لَيْسَتْ مَجَّانِيَّةً، بَلْ إِنَّ تَأْثِيرَاتِهَا مَشْرُوعَةٌ وَوَجِيهَةٌ، لَكِنَّ السُّؤَالَ هُوَ: كَيْفَ تَعَامَلَ التَّنْظِيرُ النَّقْدِيُّ مَعَ هَذِهِ القَصِيدَةِ، وَهِيَ تَتَمَثَّلُ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ، وَتَتَشَرَّبُ مَاءَهَا الَّذِي سَحَبَتْهُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ؟

الوَاقِعُ أَنَّ وِجْهَةَ النَّظَرِ هَذِهِ، لَا تَعْنِي أَنَّنَا نَقِفُ بِإِزَاءِ قَصِيدَةٍ تَتَجَاوَزُ نَقْدَهَا، بِالمَعْنَى الَّذِي تَسْبِقُهُ وَتَتَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهَا وِجْهَةُ نَظَرٍ، تُرِيدُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى أَنَّ الأَزْمَةَ هِيَ أَزْمَةُ الشِّعْرِ، وَلَكِنَّهَا أَزْمَةُ نَقْدِهِ فِي الآنِ نَفْسِهِ، بَلْ إِنَّ أَزْمَتَهُمَا هِيَ أَزْمَةُ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ بِرُمَّتِهَا، طَالَمَا أَنَّ الشِّعْرَ هُوَ مُكَوِّنٌ مَرْكَزِيٌّ مِنْ مُكَوِّنَاتِ هَذِهِ الثَّقَافَةِ، وَأَنَّ النَّقْد "هُوَ أَحَدُ أَبْنِيَتِهَا المُعَقَّدَةِ"[5]، إِذْ فِي هَذَا "البِنَاءِ تَتَجَمَّعُ وَتَنْصَهِرُ مَعَارِفُ إِنْسَانِيَّةٌ شَتَى وَأَدَوَاتٌ مَعْرِفِيَّةٌ كَثِيرَةٌ."[6]

تُرَافِعُ وِجْهَةُ النَّظَرِ هَذِهِ، لِصَالِحِ الفِكْرَةِ الَّتِي تَقُولُ بِأَنَّ الشِّعْرَ، مُطْلَقَ الشِّعْرِ، بِحَاجَةٍ إِلَى تَنْظِيرٍ جَدِيدٍ، أَوْ بِالأَحْرَى، إِلَى اسْتِئْنَافِ التَّنْظِيرِ الَّذِي تَرَاكَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهِيَ إِذْ تَفْعَلُ ذَلِكَ، فَإِنَّ عَيْنَهَا عَلَى الشِّعْرِ العَرَبِيّ تَحْدِيدًا، ذَلِكَ أَنَّ الشِّعْرَ العَرَبِيَّ المُعَاصِرَ، كَمَا كُلُّ مُكَوِّنَاتِ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْرَأَ مِمَّا يُصِيبُ عَصَبَهَا الحَسَّاسَ مِنْ أَدْوَاءٍ وَأَعْطَابٍ وَانْتِكَاسَاتٍ تُهَدِّدُ حُضُورَهَا فِي التَّارِيخِ، وَوُجُودَهَا الفِعْلِيَّ، وَتَشُلُّ حَرَكَتَهَا وَطَاقَتَهَا فِي الإِنْتَاجِ وَالاسْتِمْرَارِ وَالتَّدَاوُلِ.

غَيْرَ أَنَّ وِجْهَةَ النَّظَرِ هَذِهِ مَعْنِيَّةٌ بِالتَّأْكِيدِ عَلَى أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الشِّعْرِ وَبَيْنَ القَصِيدَةِ، فَالشِّعْرُ هُوَ حَسَاسِيَّةٌ خَاصَّةٌ فِي النَّظَرِ إِلَى العَالَمِ، إِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الفَهْمِ وَالحِيَازَةِ لِأَشْيَاءِ الحَيَاةِ وَالإِنْسَانِ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ حَاضِرٌ،

وَيُمْكِنُ أَنْ يَحْضُرَ، فِي كُلِّ الأَشْكَالِ وَالأَجْنَاسِ الَّتِي تُجَاوِرُهُ أَوْ تُحَاوِرُهُ، فِي الرِّوَايَةِ[7]، وَفِي السِّينِمَا وَالمَسْرَحِ وَالمُوسِيقَى، بَيْنَمَا تَظَلُّ القَصِيدَةُ مُجَرَّدَ مُحَاوَلَةٍ، ضِمْنَ العَشَرَاتِ مِنَ المُحَاوَلَاتِ لِلإِمْسَاكِ وَالِالْتِحَامِ بِالشِّعْرِ. "القَصِيْدَةُ مُحَاوَلَةٌ لِاصْطِيَادِ الشِّعْرِ"[8]. "بَلْ هُو حُلْمُهَا، لِأَنَّهُ يُمَثِّلُ حَالَةً مِنَ التَّجَلِي الإِبْدَاعِيِّ الَّتِي تَحْلُمُ بِهَا جَمِيْعُ الفُنُونِ[9]، لِذَلْكَ يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ كِيْفَ نَكْتُبُ قَصِيْدَةً، لَكِنَّنَا لَا نَصْبِحُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِ ذَلِكَ شُعَرَاءَ.

وَرُبَّمَا آنَتِ اللَّحْظَةُ المُنَاسِبَةُ لِلْقَوْلِ بِأَنَّ التَّنْظِيرَ "الجَدِيدَ" أَوِ المُسْتَأْنَفَ، الَّذِي أَوْمَأْتُ إِلَيْهِ، وَدَعَتْ لَهُ الفَقَرَاتُ السَّابِقَةُ دَعْوَةً خَجُولَةً، مَدْعُوٌّ أَنْ يُفَكِّرَ فِي الشِّعْرِ، لِأَنَّ التَّحَوُّلَاتِ العَمِيقَةَ الَّتِي عَرَفَهَا، تَكُونُ قَدْ أَسْهَمَتْ فِي صِيَاغَةِ مَفَاهِيمَ وَرُؤًى وَتَصَوُّرَاتٍ لَا تَتَّصِلُ بِتَعَيُّنِ هَذَا الشِّعْرِ وَتَحَقُّقِهِ الفِعْلِيِّ فِي شَكْلِ "قَصِيدَةٍ"، بَلْ تَتَّصِلُ بِجَوْهَرِهِ وَهُوِيَّتِهِ كَحَالَةٍ مِنَ الإِبْدَاعِ، وَرُؤْيَةٍ مُمَيَّزَةٍ لِلْعَالَمِ. وَمَعَ أَنَّهُ مِنَ الصَّحِيحِ أَنَّ التَّفْكِيرَ فِي الشِّعْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْدَأَ إِلَّا مِنَ القَصِيدَةِ، لِأَنَّهَا تَنْزِيلٌ لِرُوحَانِيَّتِهِ المُتَعَالِيَةِ، وَتَحْقِيقٌ لِعِرْفَانِيَّتِهِ المُتَأَصِّلَةِ[10]، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الصَّحِيحِ أَيْضًا أَنَّ التَّفْكِيرَ فِي الشِّعْرِ لَا يَنْتَهِي عِنْدَ القَصِيدَةِ أَيْضًا، إِذْ مَاذَا عَسَاهَا تَقُولُ النَّظَرِيَّةُ مَثَلًا، فِي الشِّعْرِ الَّذِي تَكْتُبُهُ الآلَةُ؟

2- لماذا نحن بحاجة إلى تنظير جديد للشعر؟

قَدْ يُضْمَرُ هَذَا السُّؤَالُ، اتِّهَامًا يَطُولُ نَظَرِيَّةَ الشِّعْرِ، وَمَا تَرَاكَمَ أَمَامَ أَبْوَابِ هَذِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الأَجْنَاسِيَّةِ مِنْ جُهُودٍ وَنَظَرِيَّاتٍ وَكُشُوفٍ وَاسْتِبْصَارَاتٍ، مُنْذُ تِلْكَ الَّتِي أَسَّسَ لَهَا الفَلَاسِفَةُ الأَوَائِلُ؛ أَفْلَاطُونُ وَسُقْرَاطُ، مُرُورًا بِكُلِّ مَا أَضَافَتْهُ الأَعْصُرُ المُتَتَالِيَةُ وَالثَّقَافَاتُ الإِنْسَانِيَّةُ المُتَوَالِيَةُ، وَلَيْسَ انْتِهَاءً إِلَى مَا تَبْذُلُهُ المَدَارِسُ النَّقْدِيَّةُ فِي الآدَابِ المُخْتَلِفَةِ، شَرْقًا وَغَرْبًا.

غَيْرَ أَنَّ هَذَا الاتِّهَامَ لَا يَسْتَقِيمُ، ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الهِبَاتِ النَّقْدِيَّةِ العَظِيمَةِ، إِنَّمَا هِيَ مَحْكُومَةٌ بِسِيَاقَاتِ نَشْأَتِهَا، وَبِالمُوَجِّهَاتِ وَالمُسْبَقَاتِ المَعْرِفِيَّةِ وَالفَلْسَفِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي وَقَفَتْ وَرَاءَهَا، وَبِطَبِيعَةِ وَهُوِيَّةِ المُنْجَزِ الشِّعْرِيِّ الَّذِي عَايَنَتْهُ، وَهِيَ تُنَظِّرُ لَهُ.

إِنَّهَا – بِالتَّعْرِيفِ – لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَحَرَّكَ خَارِجَ تَارِيخِيَّتِهَا.

فَالسُّؤَالُ، إِذَنْ، لَا يَتَّهِمُهَا بِالعَجْزِ وَالقُصُورِ، وَإِنْ شَاغَبَهَا بِشَائِبَةِ التَّأَخُّرِ، ذَلِكَ أَنَّ النَّقْدَ المُعَاصِرَ يَبْدُو مُتَرَدِّدًا أَمَامَ التَّحَوُّلَاتِ العَاصِفَةِ الَّتِي يَزْدَادُ تَأْثِيرُهَا وَعُمْقُهَا، وَهِيَ إِذْ تَتَسَارَعُ وَتِيرَةً وَاتِّسَاعًا، فَإِنَّهَا تَضَعُ النَّقْدَ، المَحْكُومَ بِنْيَوِيًّا بِحِسٍّ غَيْرِ مُعْلَنٍ، من التَّحَفُّظِ وَالتَّأَنِّي وَالتَّرَقُّبِ، عَلَى خِلَافِ الفَنِّ وَالأَدَبِ اللَّذَيْنِ يَنْزِعَانِ، بِنْيَوِيًّا أَيْضًا، إِلَى المُغَامَرَةِ وَالِاندِفَاعِ وَالتَّجْرِيبِ.

فَالإِبْدَاعُ يَسِيرُ دَائِمًا عَلَى الحَافَّةِ، يَنْدَفِعُ مُتَخَطِّيًا المَأْلُوفَ وَالمُكَرَّرَ، بَيْنَمَا يَظَلُّ النَّقْدُ يَتَقَفَّى أَثَرَهُ، مُحَاوِلًا فَهْمَهُ وَتَفْسِيرَهُ، لَكِنَّهُ يَظَلُّ فِي الغَالِبِ أَسِيرًا لِتَصَوُّرِهِ النَّظَرِيِّ وَتَقَالِيدِهِ المَنْهَجِيَّةِ، وَضَوَابِطِهِ العَقْلَانِيَّةِ. "خُصُوصًا فِي نُزُوعِهِ العِلْمِيِّ الَّذِي يَرْفُضُ التَّسْلِيمَ بِوُجُودِ مُعْطَيَاتٍ تُحِيطُ بِهَا المَعْرِفَةُ وَلا تُؤَدِيْهَا الصِّفَةُ."[11] عَلى خِلَافِ النَّصِّ الإِبْدَاعِيِّ الَّذِي يَتَجَدَّدُ بِاغْتِرَابِهِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ تَارِيخِ قَرَاءَاتِهِ.

فَنَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ، إِذَنْ، مَدْعُوَّةٌ إِلَى اسْتِئْنَافِ تَفْكِيرِهَا النَّقْدِيِّ فِي الشِّعْرِ، بَلْ إِنَّهَا مُطَالَبَةٌ بِتَجْدِيدِ هَذَا التَّفْكِيرِ بِاسْتِمْرَارٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُمَثِّلُ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ فِطْنَتِهَا وَيَقَظَتِهَا لِلتَّحَوُّلَاتِ الشِّعْرِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، وَتَجَلِّيًا مِنْ تَجَلِّيَاتِ المُرَاجَعَةِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ، الَّتِي تُمَيِّزُ كُلَّ فِكْرٍ أَوْ نَظَرِيَّةٍ أَوْ فَلْسَفَةٍ تُنَاوِئُ التَّحَجُّرَ وَالتَّكَلُّسَ وَالصَّنَمِيَّةَ وَالتَّوْثِينَ.

وَسَتُحَاوِلُ الفَقَرَاتُ القَادِمَةُ أَنْ تَكْشِفَ – مِنْ وِجْهَةِ نَظَرِ البَاحِثِ – عَنِ المَنَاطِقِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ تَتَهَيَّبُ اقْتِحَامَهَا، أَوْ تُرَاوِحُ عَتَبَاتِ أَبْوَابِهَا دُونَ الوُلُوجِ الجَرِيءِ إِلَيْهَا، دُونَ أَنْ يَعْنِيَ ذَلِكَ انْعِدَامَ المُحَاوَلَةِ، أَوْ غِيَابَ

المُبَادَرَةِ وَالاقْتِرَاحِ النَّقْدِيِّ، اللَّذَيْنِ ظَلَّ التَّعْبِيرُ عَنْهُمَا فَرْدِيًّا إِلَى غَايَةِ الآنِ، فِي صُورَةِ جُهُودٍ نَقْدِيَّةٍ تَأْخُذُ شَكْلَ دِرَاسَاتٍ وَأَبْحَاثٍ وَمَقَالاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ. لَعَلَّهَا سَتَكُونُ بِحَاجَةٍ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الزَّمَنِ قَبْلَ أَنْ يَمْتَدَّ إِلَيْهَا جُهْدٌ تَأَمُّلِيٌّ مُرَكَّزٌ، يَسْتَخْلِصُ مِمَّا تَنَاثَرَ وَتَفَرَّدَ، مَبَادِئَ تَنْظِيرٍ كُبْرَى، وَكُلِّيَّاتٍ عَامَّةً تَسْتَدْرِكُ الفَجَوَاتِ وَالصُّدُوعَ الَّتِي تَشْكُو مِنْهَا نَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ.

غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجِبُ أَنْ يَعْنِيَ أَنَّ نَظَرِيَّةَ الشِّعْرِ مُطَالَبَةٌ بِأَنْ تَكُونَ كَامِلَةً وَمِثَالِيَّةً وَنِهَائِيَّةً، فَتِلْكَ مَقَاتِلُهَا لَا فَضَائِلُهَا. وَإِنَّمَا يَعْنِي ضَرُورَةَ أَنْ يَتَشَكَّلَ مَا يُسَمِّيهِ **خَزْعَلُ المَاجِدِيُّ "عَقْلًا شِعْرِيًّا"**، الَّذِي يُسْنِدُ إِلَيْهِ وَظِيفَةَ "النَّظَرِ فِي مَاهِيَّةِ الشِّعْرِ وَطَبِيعَتِهِ وَمُشْكِلَاتِهِ وَأَنْوَاعِهِ وَطَبَقَاتِهِ وَأَغْوَارِهِ، وَيَكُونُ قَادِرًا، فِي الحَدِّ الأَدْنَى، عَلَى تَوْصِيفِ ظَاهِرَةِ الشِّعْرِ الَّتِي أَنْتَجَهَا الإِنْسَانُ فِي عُمُومِ العَالَمِ المُعَاصِرِ أَوِ القَدِيمِ، وَاسْتِنْبَاطِ قَوَانِينِهِ مِنْ تِلْكَ الظَّاهِرَةِ وَنُصُوصِهَا"[12]. وَمِنْ شَأْنِ هَذِهِ الفَاعِلِيَّاتِ الَّتِي يَنْهَضُ بِهَا هَذَا العَقْلُ الشِّعْرِيُّ أَنْ تُسَاعِدَ عَلَى إِنْتَاجِ مَنْظُومَاتٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الفِكْرِ الشِّعْرِيِّ، يُسْهِمُ فِي تَخْصِيبِ وَإِغْنَاءِ العَقْلِ البَشَرِيِّ عُمُومًا، وَتَنْمِيَةِ الحِسِّ الشِّعْرِيِّ، وَتَطْوِيرِ الإِبْدَاعِ فِي عُمُومِ أَنْشِطَتِهِ.[13]

2-1- الثورة الرقمية والأدب: "الشاعر المزيد"

تَنْقُلُ الكَاتِبَةُ وَالنَّاقِدَةُ الرُّوسِيَّةُ **"فالنتينا إيفاشيفا" Valentina Ivasheva**، وهي أستاذةُ الأدبِ الإنجليزيِّ بجامعةِ موسكو، في كتابٍ لها بعنوان: "الثورةُ التكنولوجيَّةُ والأدبُ"، تفاصيلَ جدلٍ بَدَأَ إِعْلَامِيًّا بَيْنَ أديبَيْنِ روسيَّيْنِ عامَ 1975، أَحَدُهُمَا هُوَ "ف. **ماشافاريانيV. Machavariani "**، الَّذِي كَتَبَ مَقَالًا يَحْمِلُ عُنْوَانَ: "أَلَمْ يَزِلِ الوقتُ مُبَكِّرًا جدًّا؟"، في إِشَارَةٍ إِلَى أَنَّ تَأْثِيرَ التِّكْنُولُوجْيَا فِي الأَدَبِ وَفِي الحَيَاةِ العَامَّةِ أَو الخَاصَّةِ للإنسَانِ لَا يَزَالُ طَفِيفًا وَسَطْحِيًّا، وأنَّهُ لَمْ يَحِنِ الوقتُ بَعْدُ لإِثَارَةِ كُلِّ هَذَا النَّفِيرِ. وَالثَّانِي هُو **"م. كاراتائيف" M. Karataev**، وَهُو العُضوُ المُراسِلُ لأكاديميَّةِ العلومِ في "كازاخ" Kazakh، الذي كَتَبَ مَقَالًا في الصَّحيفةِ نفسِها " Literaturnoye Obozrenie"، أخذَ عنوانًا ساخرًا أو تهكُّميًّا هو "كَلَّا. لَمْ يَزِلِ الوَقْتُ مُبَكِّرًا"، وَفِيهِ كَتَبَ قَائِلًا: "وَهَلْ هَذَا يَعْنِي أَنَّ كَاتِبًا مَا مَحْظُورٌ عَلَيهِ أَنْ يَبْحَثَ هَذَا المُوضُوعَ بِالمَرَّةِ، طَالَمَا أَنَّ الثَّوْرَةَ التِّكْنُولُوجِيَّةَ لَمْ تُغَيِّرْ طَبِيعَةَ الإِنْسَانِ؟! أَنَّى يَكُونُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يُحَدِّدَ مَتَى وَكَيْفَ يَحْدُثُ هَذَا التَّغْيِيرُ".[14]

بَيْنَ هَذَا الجَدَلِ الَّذِي أُثِيرَ عَامَ 1975، وَبَيْنَ اللَّحْظَةِ الرَّاهِنَةِ، نِصْفُ قَرْنٍ تَمَامًا، وَعَلَى الرَّغمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ المِسَاحَةَ الزَّمَنِيَّةَ لَا تَكَادُ تَعْنِي شَيْئًا، إِذَا قِيسَتْ بِمَوَازِينِ تَطَوُّرَاتِ الحَيَاةِ وَالفِكْرِ وَالعِلمِ وَالمُجْتَمَعِ، إِلَّا أَنَّهَا تَعْنِي شَيْئًا كَثِيرًا إِذَا أَدْرَكْنَا أَنَّ الثَّوَرَاتِ التكنولوجيَّةَ لَا تَتَوَازَى سُرْعَتُهَا الهَائِلَةُ وَالجَارِفَةُ، في الغَالِبِ، مَعَ وَتِيرَةِ السُّرْعَاتِ في مَجَالَاتٍ وَحُقُولٍ أُخْرَى. فالدراساتُ المُهتمَّةُ تُشيرُ إلى أنَّ الإنسانيَّةَ أصبحتْ تُنتِجُ منذ عامِ 2010، مِنَ المعلوماتِ، في ظرفِ يومَيْنِ، مَا تَكُونُ قَدْ أَنْتَجَتْهُ مُنْذُ اكتِشَافِ الكِتَابَةِ؛ أَيْ مُنذُ حَوالَي خَمْسَةِ آلافٍ وَثَلَاثُمِئَةِ سَنَةٍ.[15] وَالأَمْثِلَةُ عَلَى هَذَا التَّسَارُعِ المُذْهِلِ تَنُدُّ عَنِ الرَّصْدِ وَالحَصْرِ.

لَقَد غَمَرَتِ التِّقْنِيةُ العَالَمَ، وَغَرِقَ الإِنْسَانُ فِيمَا سَمَّاهُ "فرنسوا هارتوغ François Hartog، أَحَدُ أَفْضَلِ المُتَخَصِّصِينَ فِي تَارِيخِ اليُونَانِ القَدِيمَةِ، بـ"الحَاضِرِيَّة Présentisme"، وَهِيَ الحَالَةُ الَّتِي تَتَشَكَّلُ، لَحْظَةَ الاتِّصَالِ بِالأَجْهِزَةِ التِّكْنُولُوجِيَّةِ الرَّقمِيَّةِ، حَيْثُ يَتِمُّ إِلْغَاءُ الإِحْسَاسِ بِالمَاضِي وَالمُسْتَقْبَلِ مَعًا، وَيَفْقِدُ فِيهَا الزَّمَنُ سُمْكَهُ وَامْتِدَادَهُ خَلْفًا وَأَمَامًا، وَيَتَحَوَّلُ إِلَى مُتَوَالِيةٍ مِنَ اللَّحَظَاتِ المُفْرَغَةِ مِنَ الخِبْرَةِ وَالمَعْرِفَةِ، وَفِيهَا يَنْتَشِي "المُسْتَخدِمُ "بِمَا يَمْثُلُ أَمَامَ عَيْنِيهِ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ[16].

إنَّ هَذِهِ اللَّحْظَةَ "الحَاضِرِيَّةَ" وَهِي "تَغْلِقُ عَلَى الإِنْسَانِيَّةِ دَاخَلَ كَوْنٍ نَفْعِيٍّ وَمُتَحَكَّمٍ فِي كَمِيَّتِهِ"[17]، تَكُونُ قَدْ طَمَرَت ذَلِكَ "الثُّقْبَ" الزَّمَنِيَّ الَّذِي نُطِلُّ مِنْ خِلَالِهِ عَلَى المُسْتَقْبَلِ، وَغَطَّتِ عَلَيْهِ رَغَبَاتٌ تَتَنَاسَلُ بِاسْتِمْرَارٍ دُوْنَ أَنِ تَقُودَ إِلَى إِشْبَاعٍ حَقِيْقِيٍّ."[18] وَلِذَلِكَ لَمْ يَعُدْ غَرِيْبًا أَنْ يَشْعُرَ الإِنْسَانُ المُعَاصِرُ بِمَا سَمَّاهُ الفيلسوفَ الأَلماني " **غونتر أندريس**Günther Anders) أَبْرَزُ نُقَادِ التِّقْنِيَّةِ فِي العَالَمِ بـ" خَجَلِ بروميثيوس" أَو "التَّفَاوُتِ البَرُومِيثِي" للإِشَارَةِ إِلَى وُقُوعِ الإِنْسَانِ، الَّذِي تُؤَكِّدُ كُلُّ حِفْرِيَّاتِ التَّارِيْخِ أَنَّهُ كَانَ أَعْتَى الكَائِنَاتِ الصَّانِعَةِ للتَّارِيخِ وَالحَضَارَةِ وَالثَّقَافَةِ، وَأَمِيْنَ عَلَى سِرِّ النَّارِ الَّتِي سَرَقَهَا الإِلَهُ اليَونَانِيُّ القَدِيْمِ، كَمَا تَقُولُ الأُسْطُورَةُ، أَقُولُ: وُقُوع هَذَا الإِنْسَانِ ضَحَيَّةَ الآلة الَّتِي صَنَعَهَا، فَاسْتَعْبَدَتْهُ، فَتَبَاعَدَتِ المَسَافَاتُ بِيْنَ قُدْرتِهِ عَلَى اجْتِرَاحِ هَذِهِ التِكنُولُوجِيات العِمْلَاقَةِ وَبَيْنَ عَجْزِهِ عَنْ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا، وَتَفَهُّمِ عَوَاقِبِهَا الأَخْلَاقِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ[19].

" لَقَد أَضحَى الإِنْسَانُ المُعَاصِرُ – كَمَفْهُومٍ- مُهَدَّدًا مِنَ قِبَلِ النَّزْعَةِ التِّقْنِيَّةِ الَّتِي انفَجَرَتِ لَتَطَالَ شَظَايَاهَا كُلَّ مَنَاحِي الوُجُودِ الإِنْسَانِيّ."[20] وَلَعَلَّ الأَدَبَ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنَ أَبْرَزِ هَذِهِ المَنَاحِي الَّتِي وَجَدَت نَفْسَهَا وَجْهًا لِوَجَهٍ أَمَامَ مَوْجَاتٍ رَقْمِيَّةٍ مُتَتَابِعَةٍ، فَرَضَت نَفْسَهَا فَرْضًا فِي عَمَلِيَّةِ الكِتَابَةِ كَمَا فِي عَمَلِيَّةِ القِرَاءَةِ وَالتَّلَقِي.

وَلَعَلَّهُ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ، قَبْلَ أَنْ نُفَكِّرَ فِي هَذَا التَّشَابُكِ بَيْنَ الأَدَبِ عُمُومًا، وَالشِّعْرِ تَحْدِيدًا، وَبَيْنَ التِّكْنُولُوجِيَّاتِ وَالتَّقْنِيَّاتِ الَّتِي يَزْدَادُ تَوَسُّعُهَا وَتَتَأَكَّدُ جُرْأَتُهَا وَ"كَفَاءَتُهَا" وَتَتَمَدَّدُ مِسَاحَةُ إِغْرَائِهَا، وَتَتَسَارَعُ وَتَائِرُ تَدَاوُلِهَا، أَنْ نَضَعَ مَحَاذِيرَ وَاحْتِرَازَاتٍ أَمَامَ هَذَا الحَدِيثِ، أَوَّلُهَا أَنَّ "اللِّقَاءَ" بَيْنَ الأَدَبِ وَالتِّكْنُولُوجِيَا لَيْسَ شَرًّا بِالْمُطْلَقِ، وَلَا يُمْكِنُ - ضَرُورَةً - أَنْ يُنْذِرَ بِالكَارِثَةِ وَالخَرَابِ، فَرُبَّمَا بَدَتْ "الكِتَابَةُ" الَّتِي أُتِيحَ لِلْإِنْسَانِ فِي بِلَادِ الرَّافِدَيْنِ، أَنْ يَكْتَشِفَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَبْلَ أَكْثَرَ مِنْ 5300 عَامٍ، شَكْلًا تِقْنِيًّا بَالِغَ القُوَّةِ وَالإِدْهَاشِ. لَقَدْ كَانَتْ فِي فَجْرِ تَارِيخِهَا الأَوَّلِ قُوَّةً غَامِضَةً، تُثِيرُ الرَّهْبَةَ وَتَبْعَثُ عَلَى الخَوْفِ، إِنَّهَا سِحْرٌ إِلَهِيٌّ، أَوْ هِيَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ، خَاصَّةً حِينَ تَمَّ احْتِكَارُهَا فِي بَعْضِ مَفَاصِلِ تَطَوُّرِهَا مِنْ قِبَلِ الكَهَنَةِ وَقِلَّةٍ مِنَ الكُتَّابِ، وَفِي مِصْرَ القَدِيمَةِ ظَلَّ يُنْظَرُ إِلَيْهَا بِاعْتِبَارِهَا "هِبَةً "مِنَ إِلَهِ الحِكْمَةِ "تحوت"[21]، وَبَقِيَتْ كَثِيْرٌ مِنَ الشُّعُوبِ تَتَوَجَّسُ مِنْهَا خِيْفَةً وَتَرَدُّدًا، لِأَنَّهَا تَخْتَرِقُ نَسَقًا اسْتَقَرَّ فِي مُعْتَقَدَاتِهِم، فَهِي مُعْجِزَةٌ وَسِحْرٌ؛ يُمَكِّنُ الكَلِمَاتِ وَالمَعَانِيَ وَالأَفْكَارَ مِنَ البَقَاءِ والاسْتِمْرَارِ حَتَّى بَعْدَ مَوتِ صَاحِبِهَا، لَقَد بَدَتْ أَنَّهَا حَرْبٌ عَلَى الذَّاكِرَةِ، وَمَعْرَكَةٌ ضِدَ قَدَاسَتِهَا، فَعَلَت ذَلِكَ كُلَّهُ، قَبْلَ أَنْ تُصْبِحَ جُزْءًا أَسَاسِيًا مِنَ حَضَارَةِ الإِنْسَانِ وَتَجْرِبَتِهُ المَعْرِفِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةِ فِي الوُجُودِ.

أَمَّا ثَانِي هَذِهِ الاحْتِرَازَاتِ فَهُو أَنَّ الفَارِقَ فِي تَفَجُّرِ الثَّوَرَاتِ التِّكنُولُوجيَّةِ وَمُخْتَلَفِ تَطبِيْقَاتِهَا واسْتِخْدِامَاتِهَا يَظَلُّ كَبِيرًا بَيْنَ المُجْتَمَعَاتِ المُتَقَدِّمَةِ، الَّتِي بَلَغَتْ آفَاقًا مُذْهِلَةَ التَّطوُّرِ، وَبَيْنَ المُجْتَمَعَاتِ المُتَخَلِّفَةِ الَّتِي تَعِيْشُ نَمَطًا مُخْتَلِفًا مِنَ التَّحَدِّيَاتِ وَالرِّهَانَاتِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنَ أَنَّ كُلَّ المُؤَشِّرَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوْجَاتِ التَّفَجُّرِ التِكنُولُوجيّ تَزْحَفُ مُنْشَطِرَةً ومُتَشَظِّيَةً فِي جَمِيْعِ الاتِجَاهَاتِ.

لَقَد قَدَّمَتِ التِّكنُولُوجيَا لِلأَدَبِ نِعَمًا كثيرةً، -لكنَّها أَخْطَرُ النِّعَمِ- إِذَا اسْتَعَرْنَا مَجَازَ الفَيْلَسُوفِ الألمانيّ **"مارتن هَيْدجر*Martin Heidegger*** " وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ اللُّغَةِ. فَإِثْرَ هَذَا "اللِّقَاءِ الحَمِيْمِ" تَحَوَّلَ الأَدَبُ عَنْ أُرستقرَاطيَّتِهِ، فَغَدَا قَرِيْبًا مِنَ جَمْهُورِهِ، وَاتَّسَعَت دَائِرَةُ قُرَّائِهِ، وَلَمْ يَعُدْ فِي إِمْكَانِ الكَاتِبِ أَنْ يَشْكُوَ مِنَ النُّكْرَانِ وَالجُحُودِ وَقِلَّةِ الاكْتِرَاثِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ دَائِمًا، عَنْ نَوْعِيَّةِ وَتَرْكِيْبَةِ وَمُسْتَوى الجَمْهُورِ الَّذِي نَتَحَدَّثُ عَنْهُ هُنَا! وَتَحَوَّلَ مَفْهُومُ "التَّفَاعُلِ" أو "التَّفَاعُلِيَّةِ" إِلَى مَفْهُومٍ مَرْكَزِيٍّ فِي تَحْدِيدِ هُوِيَّةِ الأَدَبِ الرَّقمِيّ؛ وتَحْتَ وَقْعِ هَذَا المَفْهُومِ تَغَيَّرَ عَدَدُ وَتَرَاتُبُ أَطْرَافِ العَمَلِيَّةِ "الإبداعية"[22]؛ إِذْ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ هَذِهِ الأَطْرَافِ فِي صُوْرَةِ المُتَوَالِيَّةِ القَدِيْمَةِ الآتِيَّةِ: **المبدع**-

النص- القارئ، أَصْبَحَت بِفِعْلِ تَسَرُّبِ التِّكنُولُوجِيَّاتِ المُخْتَلِفَةِ إِلَى الأَدَبِ، وَتَحَوُّلِهَا إِلَى رَافِعَةِ كِتَابَةٍ بِالنِّسْبَةِ للكاتب، وَقِرَاءَةٍ بِالنِّسْبَةِ للمتلقي، تَأَخُذُ الصُّورَةَ الجَدِيْدَةَ الآتِيَّةَ: **المبدع- النص** الَّذِي يَصِفُهُ "سَعِيْد يَقْطِين" **بالمترابط- الحاسوب- المتلقي**[23]، يَنْضَافُ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ التِّكنُولُوجِيَا أَتَاحَت فُرَصًا ذَاتِ طَبِيْعَةٍ تِجَارِيَّةٍ، كَانَت تُمَثِّلُ حُلْمًا شَدِيْدَ التَّأَبِي وَالعُسْرِ عِنْدَ أَجْيَالٍ كَثِيْرَةٍ سَابِقَةٍ مِنَ المُبْدِعِينَ، فَالمِنَصَّاتُ الرَّقْمِيَّةُ هِيَ أَسْوَاقٌ جَدِيْدَةٌ ومَفْتُوحَةٌ، وَغَيْرَ مُؤَقَتَّةٍ، وَمُتَجَاوِزَةٍ لِحُدُودِ الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، تُتِيْحُ لِلكُتَّابِ وَالمُبْدِعِينَ فُرَصَ التَّفَاعُلِ وَالنَّشْرِ وَالبَيْعِ[24]، فَضْلًا عَنْ تَحْقِيقِ وَتَجْسِيدِ مُشَارَكَةِ المُتَلَقِي فِعْلِيًا فِي إِنْتَاجِ النَّصِ، وَتَوْجِيهِ مَجْرَاه، بَلْ وَإِبْدَاءِ الاقْتِرَاحَاتِ حَوْلَ عُنْوَانِهِ وَمَسَارِهِ الفَنِّيِّ وَصَفْحَةِ غِلَافِهِ[25]، وَهِيَ المُشَارَكَةُ الَّتِي كَانَت فِي مَرَاحِلَ سَابِقَةٍ – مَا قَبْلَ التِّكنُولُوجْيَا- رَهْنَ كَثِيْرٍ مِنَ الضَبَابِيَّةِ وَالغُمُوضِ وَصُعُوبَةِ التَّحْدِيْدِ، لَمْ يَتَمَكَّنِ عِلْمُ اجْتِمَاعِ الأَدَبِ مِنْ حَلِّ مُشْكِلَاتِهَا.

غيرَ أنَّ كلَّ هذه "النِّعَمِ" التي أغدقَتْها التِّكنولوجيّاتُ الحديثةُ على الأدبِ والفنِّ عُمُومًا، تَكُونُ قَدْ جَلَبَتْ مَعَهَا عَوَاصِفَ تَغْيِيرٍ، لَمْ تَتَّصِلْ بِطَرِيقَةِ الكِتَابَةِ وَأَسَالِيبِ تَدَاوُلِهَا فَحَسَب، بَلْ لَعَلَّهَا أَصَابَتْ هُوِيَّتَهَا وَعُمْقَهَا الفَلْسَفِيَّ وَالوُجُودِيَّ وَالجَمَالِيَّ، وَهُوَ الأَمْرُ الَّذِي يَسْمَحُ بِوَضْعِ هَذِهِ "الحَالَةِ/ الوَضْعِيَّةِ *situation* "ضِمْنَ إِطَارٍ عَامٍّ؛ هُو العَلَاقَةُ بَيْنَ التِّقنيةِ وبينَ الشَّرطِ الإِنْسَانِيّ، بِالمَعْنَى الَّذِي تَتَجَاوَزُ فِيهِ الأَدَبِيَّ إِلَى الثَّقَافِيّ، وَالثَّقَافِيَّ إِلى الوُجُودِيّ! أَيْ كَيْفِيَّةُ تَدَخُّلِهَا فِي صِيَاغَةِ أُفُقٍ جَدِيْدٍ مِنَ العَيْشِ وَالتَّعَايُشِ وَفَهْمِ العَالَمِ وَالحُضُورِ فِيْهِ، وَمِنَ التَّحَقُّقِ الوُجُودِيّ وَالمُشَارَكَةِ الإِنْسَانِيَّةِ الرَّحْبَةِ والوَاصِلَةِ. إِذْ لَيْسَ خَافِيًا أَنَّ هَذِهِ التِّكنُولُوجيّاتِ الجَارِفَةَ، وَالمُتَسَلِّلَةَ بِدَهَاءٍ إِلَى مَخَادِعِ الرُّوحِ، تَدْفَعُ فِعْلِيًّا إِلى طَرْحِ أَسْئِلَةٍ جَوْهَرِيَّةٍ؛ مِنْ قَبِيلِ تَرَاجُعِ الذَّكاءِ البشريّ لِصَالِحِ الذَّكاءِ الاصطناعيّ، الذَّاهِبِ "إِلَى حَيْثُ لَمْ يَذْهَبْ أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْ قَبْلُ، وَإِلَى حَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَتْبَعَهُ."[26]وَهَلْ أَصْبَحْنَا وَبِإِرَادَةِ صُنْعِنَا لِهَذِهِ التِّكنُولُوجيا آلَاتٍ رَدِيْئَةٍ؟[27] وَهَلْ نَحْنُ نَقِفُ وَجْهًا لِوَجْهٍ أَمَامَ سُلَالَةٍ ذَكِيَّةٍ وَمَاكِرَةٍ، مُقَابِلَ السُّلَالَةِ الأَرْكِيُولُوجِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ؟[28]، وَكَيْفَ نُسَمِي هَذَا الشِّعْرَ الَّذِي تَكْتُبُهُ الآلات؟ أَيْنَ يَنْتَهِي البَشَرِيُّ فِيْهِ؟ وَمِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ الآلِيُّ؟[29]

إِنَّنَا عَلَى بُعْدِ خُطْوَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ تَصَاعُدِ نَمُوْذَجٍ لِشَاعِرٍ مُخْتَلِفٍ، يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِيَّهُ الشَّاعَرَ "المزيد***augmenté***"[30] وَنَحْنُ لَا نَعْرِفُ عَلَى وَجْهِ الدِّقَّةِ مَاذَا يَفْعَلُ الشُّعَرَاءُ المُعَاصِرُونَ الَّذِيْنَ يَتَّكِئُونَ عَلَى هَذِهِ التَّطْبِيْقَاتِ التِّكنولوجيَّةِ فِي مَخَابِئِهِم؟ مِمَّا يَطْرَحُ سُؤَالَ جُذُورِ النَّصِّ وَأَصَالَتِهِ وَنِسْبَتِهِ، وَهِيَ الأَسْئِلَةُ الَّتِي حَيَّرَتِ النَّقدَ الكَلَاسِيكِيَّ طَوِيلًا، بَدْءًا مِنَ "المُشْكِلَةِ الهوميريَّةِ" وَلَيْسَ انْتِهَاءً بِجُهُودِ النُّقَادِ العَرَبِ القُدَمَاءِ وَهُمْ يُعَالِجُونَ نِسْبَةَ النُّصُوصِ وَانْتِحَالَهَا وَنَحْلَهَا وَوَضْعِهَا، حَتَّى إِنَّهُ لَيَبْدُو وَكَأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الجُهُودِ العَزِيْزَةِ تَارِيْخِيًّا قَدْ ذَرَتْهَا رِيَّاحُ الذَّكاءِ الاصْطِنَاعِيّ!

إِنَّ تداخُلًا بينَ الأدبِ والتكنولوجيا، ولْنَفْتَرِضْ أَنَّهُ مجرَّدُ تداخُلٍ لا اقتحامٍ، يدفعُ نظريَّةَ الأدبِ والشِّعرِ إلى مُراجعةِ مَقولاتِها، ذلكَ أنَّهُ تداخُلٌ لا يتوقَّفُ تأثيرُهُ عندَ الهَوَامِشِ وَالحَوَافِّ والتِّقْنِيات الإِخْرَاجِيَّةِ المُتَعَلِّقةِ بِكَيْفِيَّةِ أَو كَيْفِيَّاتِ عَرْضِ النَّصِّ، وأَساليبِ التَّأثيرِ على المُتلقِّي وإغرائِهِ، بل إنَّهُ لَيَدْفَعُ إلى إعادةِ النَّظرِ والاستِشكالِ في مفاهيمَ كثيرةٍ؛ مثلَ: المُؤلِّفِ، ونَوايا المُؤلِّفِ ومقاصِدِهِ، والأدبيَّةِ، والقارئِ، والعالمِ، والقيمِ، والقيمةِ، والأسلوبِ، والتَّاريخِ، والجمالِ... فضلًا عن ضرورةِ التَّفكيرِ في "عُدَّةٍ اصطلاحيَّةٍ" جديدةٍ تتناسبُ معَ هذهِ المُراجعةِ، وتنسجمُ مع التَّحوُّلاتِ الطَّارئةِ.

إنَّهُ ليسَ مَطلوبًا من نظريَّةِ الشِّعرِ، وهيَ تُرَمِّمُ صُدوعَها، وتُفكِّرُ في تَجاوُزِ أَعْطَابِهَا، وَرَدْمِ فَجَوَاتِهَا، أَنْ تَضعَ هَذِهِ التِّكنُولُوجيَّاتِ الَّتِي اخْتَرَقَتِ الأَدَبَ وَالشِّعرَ فِي قَفْصِ الاتِّهَامِ، أَو أَنْ تُنَاصِرَهَا وَتُصَفِّقَ لَهَا فِي مَوْقِفٍ مُقَابِلٍ، لَكِنَّهَا، بِالتَّأْكِيْدِ، مُطَالَبَةٌ بَأَنْ لَا تُفَكِّرَ مِنْ دَاخِلِ أَنْسَاقِهَا القَدِيْمَةِ، وَهِيَ تُنَظِّرُ لِتَحَوُّلَاتٍ عَاصِفَةٍ جَدِيْدَةٍ.

إِنَّ شَكْلًا حَادًّا مِنَ الإزاحَةِ لِمَرْكَزِيَّةِ البَشَرِ آخِذٌ فِي التَّكَوُّنِ، وَفِي مَجَالِ الإبداعِ الشِّعريِّ، كَانتْ فِكْرَةُ النَّاقِدِ الفرنسيِّ "**رولان بارت** "***Roland Barthes***"القَائِلَةُ بِمَوتِ المُؤلِّفِ، فِكْرَةً ثَوْرِيَّةً فِي نِهَايَةِ السِّتينيَّاتِ، وَكَانتْ تَجَلِّياتُ ثَورِيَّتِها تَتَبَدَّى فِي المَوَاقِفِ المُؤيِّدةِ، كَتِلْكَ الَّتِي وَقَفَهَا البِنْيَوِيُّونَ والتَّفكيكيُّونَ، لِأَنَّهم وَجَدُوا فِيْهَا صَدَى رَغْبَتِهِمُ المُلِحَّةِ فِي تَجَاوزِ سُلْطَةِ الخِطَابِ المَرْكَزِيِّ وَالتَّقْلِيديِّ حَولَ "المُؤلِّفِ"، كَمَا عَثَرُوا مِنْ خِلالِهَا عَلَى أَوَّلِ مَفَاتِيحِ سَرْدِيَّةِ الهَدْمِ، الَّتِي طَالَتِ الثُّنائيَّاتِ القَدِيْمَةَ (المُؤلِّف/ القَارِئ - النَّصُّ/ المَعْنَى النَّاجِزُ)، كَمَا تَبَدَّتْ أَيْضًا فِي مَوَاقِفِ المُنَاوِئِينَ؛ كَتِلْكَ الَّتِي عَبَّرَتْ عَنْهَا الاتِّجَاهَاتُ التَّقليْديَّةُ، وَأَتْبَاعُ المَنْهَجِ التَّاريخيِّ، ورُوَّادُ وأنصارُ التَّيَّاراتِ المَاركْسِيَّةِ المُختلِفَةِ، الَّتِي وَجَدَتْ فِيْهَا أَيْضًا إِهْدَارًا حَقِيقيًّا لِجُزءٍ مِنَ النَّصِّ، وَإِلْغَاءً صَرِيحًا لِقُوَّةِ شَخْصِيَّةِ المُبدِعِ وَمَرْكَزِيَّتِهِ وللسِّياقاتِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يُكْتَبَ خَارِجَهَا.

والواقعُ أنَّ هذهِ الفكرةَ، على ثَوْرِيَّتِها التي أَبَنَّا عنها، تَبْدو اليومَ وكأنَّها لُعْبَةُ أطفالٍ، أمامَ ما تفعَلُهُ التِّكنولوجيَّاتُ الحديثةُ بتطبيقاتِها المختلفةِ، والتي لم تَكْتَفِ بإلْغاءِ المُؤلِّفِ، ولا تَرَكَتْهُ يَمُوتُ بهُدُوءٍ، بل إنَّها فَرَضَتْ عَلَيْهِ مَنْطِقَها، وقَلَّصَتْ مِنْ حُرِّيَّتِهِ، الَّتِي قَدْ يَكُونُ الخَطَأُ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِها، "فَالشَّاشَةُ اليَومَ قَدْ أَصْبَحَتْ جُزْءًا مِنَ النَّصِّ وَلَيْسَ مَحْضِنًا سَلْبِيًّا لَهُ، فَالكَاتِبُ اليَومَ مُلْزَمٌ بِالمُرُورِ عَبْرَهَا، بَلْ تُمَارِسُ عَلَيْهِ نَوْعًا مِنَ السُّلْطَةِ كَيْ يَضَعَ مَادَّتَهُ عَلَيْها، ويَخْضَعَ فِي بَعْضِ الأَحْيانِ لإكراهاتها."[31]

أَلَا يُمْكِنُ القَوْلُ، أَمَامَ هَذَا الوَاقِعِ المُعَزَّزِ تِكْنُولوجيًّا، وَالَّذِي يَضَعُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّاعِرِ كُلَّ إِمْكَانَاتِ المَحْوِ وَالاسْتِدْرَاكِ وَالمُرَاجَعَةِ الآنيَّةِ وَالبَعْدِيَّةِ، نَاهِيْكَ عَنْ سَحْبِ النَّصِّ وَإِتْلافِهِ إِذَا شَاءَ.

إِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ فَقَدَ القُدْرَةَ على الخَوْفِ؟

مِنْ هُنَا كَانتْ دَعْوَةُ الفَقَرَاتِ السَّابْقَةِ إِلَى أَنَّ نَظَرِيَّةَ الشِّعْرِ مَدْعُوَّةٌ إلى رَأْبِ هَذِهِ الصُّدُوعِ، وَرَدْمِ هَذِهِ الفَجَوَاتِ، حَتَّى يَغْتَنِي الوَعْيُ النَّقْدِيُّ، وَتَتَمَهَّدَ السُّبُلُ "لِفَهْمِ" هَذِهِ الفَاعِلِيَّةِ الإِبْدَاعِيَّةِ العَظِيمَةِ الَّتِي هِيَ الشِّعْرُ. وَمَعَ إِدْراكِنا أَنَّ هَذِهِ المُراجَعَةَ وَرَأْبَ الصُّدُوعِ بِحَاجَةٍ إِلى تَرَاكُمٍ كَبِيْرٍ لِهَذِهِ التَّجَارِبِ الَّتِي "يَتَدَاخَلُ" فِيْهَا البَشَرِيُّ مَعَ الرَّقْمِيِّ، التَّرَاكُمِ الَّذِي يَظَلُّ مَطْلَبَ كُلِّ نَظَرِيَّةٍ فِي صِياغَةِ خِطَابِهَا التَّنْظِيرِيِّ، وَاسْتِخْلاصِ الخُصُوصِيَّاتِ النَّوْعِيَّةِ لِهَذِهِ التَّجَارِبِ، إِلَّا أَنَّ نظريَّةَ الشِّعْرِ يُفْتَرَضُ أَنْ تَبْدَأَ فِي التَّفْكِيرِ أَو تَسْتَأْنِفَهُ، حَتَّى تَرْتَسِمَ الصُّورَةُ بوُضُوحٍ، وتَبْرَأَ مِنَ التَّأَخُّرِ الذي قدْ يَعيبُ حَرَكَتَهَا.

2-2- الشعر المعاصر والتنظير النقدي: لماذا انطفأت الحرائق؟

قَدْ يَكُونُ مِنَ الطُّمُوحِ المُجَازِفِ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنِ الشِّعْرِ، مُطْلَقِ الشِّعْرِ، فِي كُلِّ العَالَمِ، ذَلِكَ أَنَّ خَارِطَةَ هَذِهِ الإِمْبراطُورِيَّةِ الكَبِيرَةِ لَمْ تَعُدْ بِالوُضُوحِ ولا الثَّبَاتِ اللَّذَيْنِ كَانَ البَاحِثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَلْحَظَهُمَا، وَإِحْدَاثِيَّاتُ هَذِهِ الخَارِطَةِ لَمْ تَعُدْ مُسْتَقِرَّةً وَدَالَّةً مِثْلَمَا كَانَتْ قَبْلَ عُقُودٍ لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٍ. فَعالَمُ الشِّعْرِ اليومَ هوَ عالَمٌ لا وُضُوحَ فيهِ، تَبَعًا لِحالَةِ التَّشَظِّي والقَلَقِ والاضْطِرابِ التي تَعْصِفُ بالعالَمِ ككُلٍّ.

لَقَدْ كانَ عالَمُ الأَمْسِ، ورُبَّما قَبْلَ مِائَةِ عَامٍ فَقَطْ، يَنْهَضُ عَلَى بُنًى في السِّياسَةِ والاجْتِماعِ والفِكْرِ والتِّقْنِيَّةِ، تَحُوزُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الوُضُوحِ والصَّرامَةِ والتَّماسُكِ، وَكَانَتْ سَرْدِيَّاتُهُ الكُبْرَى مُمَثَّلَةً في الإِيدْيُولُوجِيَّاتِ الشُّمُولِيَّةِ؛

الرَّأْسِماليَّةِ، والاشْتِراكِيَّةِ، والقَوْمِيَّةِ، تُقَدِّمُ وُعُودَها الكُبْرَى بِتَفْسِيرِ العالَمِ، واقْتِراحِ الإجَابَاتِ "الشَّافِيَةِ" لِأَعْتَى أَسْئِلَتِهِ صُعُوبَةً وغُمُوضًا. لكِنَّ العالَمَ اليومَ مُضْطَرِبٌ، سائِلٌ، ومُوَّارٌ، بلا مَناراتٍ ولا رَواسٍ.

في مُسْتَوى المَعْرِفَةِ، كانَتِ المَعْرِفَةُ الإنْسانِيَّةُ مُرْتَهَنَةً إلى "الكِتَابِ"، أيْ إلى المَطْبُوعاتِ، وإلى مَصادِرَ مُعَيَّنَةٍ ومُتَعَيِّنَةٍ لِلْمَعْلُومَةِ، ولا يَتِمُّ الوُصُولُ إلَيْها، إلَّا بَعْدَ مُكابَدَةٍ قاسِيَةٍ، لَيْسَ أَقَلَّها الرِّحْلاتُ إلى مَضانِّ العِلْمِ وحَواضِرِهِ ومَراكِزِهِ، وشُيُوخِهِ الذينَ يُجْثَى أَمامَهُمْ على الرُّكَبِ، لكِنَّ عالَمَ اليومِ هُوَ عَالَمُ التَّفَجُّرِ المَعْلُوماتِيِّ، لَكِنْ بَلَا حَقَائِقَ[32].

في مُسْتَوَى الهُوِيَّةِ والقِيَمِ والانْتِماءاتِ الكُبْرَى، كانَتِ الهُوِيّاتُ الوَطَنِيَّةُ والقَوْمِيَّةُ والدِّينِيَّةُ والطَّبَقِيَّةُ تَسْتَقْطِبُ الأَفْرادَ والمُجْتَمَعاتِ، وتَشُدُّهُمْ إلَيْها بِقُوَّةِ انْتِماءاتٍ ووَلاءاتٍ واضِحَةٍ، وتُشْعِرُهُمْ بِالحَصانَةِ والصَّلابَةِ أَمامَ أَساليبِ التَّذْوِيبِ، وطَرائِقِ المَحْوِ والإلْغاءِ، قَبْلَ أَنْ يَغْرَقَ الجَمِيعُ في سُيُولَةٍ مَغْشَاةٍ بِضَبابٍ كَثِيفٍ، غامَتْ فيهِ - أَوْ تَكادُ - الحُدُودُ والرُّسُومُ، تَحْتَ وَقْعِ عَوْلَمَةٍ شُمُولِيَّةٍ تَسْعَى لِابْتِلاعِ العالَمِ والنَّاسِ، عَدا بَعْضِ الجُيُوبِ، في قارَّاتِ العالَمِ المُخْتَلِفَةِ، التي لا زالَتْ تُقاوِمُ بِشَراسَةٍ، مُنادِيَةً بِعالَمٍ أَكْثَرَ عَدْلًا وأَمْتَنَ أَخْلاقًا.

في مُسْتَوَى الكِتابَةِ، أَيْضًا، وتَمَثُّلًا لِهَذَا المَنَاخِ الَّذِي وَصَفْنَا، كَانَتِ الأَجْنَاسُ الأَدَبِيَّةُ، وتَحَقُّقاتُها النَّصِّيَّةُ؛ في الرِّوايَةِ والشِّعْرِ والمَسْرَحِ والرَّسْمِ والمُوسِيقَى والسِّينِما، واضِحَةَ المَعالِمِ، بَيِّنَةَ الحُدُودِ، فَقَدْ كانَتِ الرِّوايَةُ - مَثَلًا - التي تُوصَفُ اليَوْمَ بِأَنَّها تَقْلِيدِيَّةٌ، أَوْ بِأَنَّها "حَدِيثَةٌ" عِنْدَ بَعْضِ النُّقَّادِ، كَمُقابِلٍ لِلرِّوايَةِ الجَدِيدَةِ، تُقَدَّمُ بِاعْتِبارِها تَصْمِيمًا يجسد رؤية وثوقية لِلْعَالَمِ[33].

وَكَانَ الشِّعرُ تَجرِبَةً فَردِيَّةً، تُعانِقُ أَكثَرَ الأَسئِلَةِ الوُجودِيَّةِ إرهاقًا لِلوَعيِ الإنسانيِّ، لِيَجِدَ تَبَعًا لِذلِكَ، صَداهُ الأَوقَعَ وَالأَوسَعَ دَاخِلَ قاعِدَةٍ حَقيقِيَّةٍ مِنَ القُرَّاءِ، تَنتَظِرُ الدَّواوِينَ وَالمَجْمُوعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ وَالأُمسِيَّاتِ، وَتَتَفاعَلُ بِحَماسٍ، يَرتَفِعُ بِالقَصيدَةِ - مَجازًا - إلى مُرتَبَةِ المُعَلَّقاتِ القَدِيمَةِ، قَبلَ أَن يَتَداعَى كُلُّ ذلِكَ، في حَالَةٍ مِنَ اللَّاوضُوحِ في التَّجرِبَةِ وَالرُّؤيَةِ وَالكِتابَةِ وَالتَّلَقِّي، مُنذِرَةً بِمَناخاتٍ مُتَضارِبَةٍ وَمُعَقَّدَةٍ وَضَبابِيَّةٍ.

وَلَعَلَّهُ مِنَ المُهِمِّ أَنْ نُشِيرَ إلى أَنَّ هَذِهِ المُقابَلَةَ الَّتِي استَطرَدَت إلَيها الفَقَراتُ السَّابِقَةُ بَينَ عالَمَينِ، وَمُحاوَلَةَ الكَشفِ عَن وُضُوحِ الأَوَّلِ وَهُدُوئِهِ، وَالتِباسِ الثَّانِي وَصَخَبِهِ، لا تَرمِي أَبَدًا إلى مُفاضَلَةٍ مِن أَيِّ نَوعٍ، بِقَدرِ ما تَهدِفُ إلى الرَّغبَةِ في الكَشفِ عَنْ تَجَلِّياتِ التَّحَوُّلِ وَالتَّغَيُّرِ في مُستَوَى الفِكرِ وَالاجتِماعِ وَالقِيَمِ وَالفَنِّ..

وَلِأَنَّ الحَدِيثَ عَنِ الشِّعرِ في العَالَمِ كَكُلٍّ، مُهِمَّةٌ لَيسَتْ بِاليَسِيرَةِ وَلا المُمْكِنَةِ، مِثْلَمَا أَشَارَتْ إلَى ذَلِكَ فَقرَةٌ سَابِقَةٌ، فَإِنَّ الحَدِيثَ عَنِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ وَالمُعَاصِرِ، وَمُحَاوَلَةَ التَّحدِيقِ في عَينِ العَوَاصِفِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطبِيقِيَّةِ الَّتِي تُنَاكِفُهُ، يَبدُو مَشرُوعًا، لِقُربِ البَاحِثِينَ عُمُومًا مِن تَارِيخِيَّتِهِ وَمَسَارَاتِهِ الفَنِّيَّةِ وَالجَمَالِيَّةِ، أَي مِن حَرَكَتِهِ في الزَّمَانِ وَالمَكَانِ.

يَذْهَبُ النَّاقِدُ **صَلَاحُ فَضلٍ** في كِتَابِهِ "تَحَوُّلَاتُ الشِّعرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ" إلَى رَصدِ جُملَةٍ مِنَ التَّحَوُّلَاتِ الَّتِي مَسَّتِ الشِّعرَ العَرَبِيَّ الحَدِيثَ وَالمُعَاصِرَ، مُؤَكِّدًا عَلَى مَلمَحِ تَسَارُعِ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ وَتَلَاحُقِهَا، بِالصُّورَةِ الَّتِي أَعجَزَتْ كُلًّا مِنَ المُلَاحَقَةِ التَّعلِيمِيَّةِ، وَالحَرَكَةِ النَّقدِيَّةِ عَن مُوَاكَبَتِهَا وَمُرَافَقَتِهَا. وَيَربِطُ النَّاقِدُ هَذِهِ التَّحَوُّلَاتِ المُتَسَارِعَةِ الإيقَاعِ بِمَا وَصَفَهُ "اشْتِعَالُ أَربَعِ ثَورَاتٍ شِعرِيَّةٍ مُتَتَالِيَةٍ فِي مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ تَارِيخِيًّا."[34]؛ وَيَعْنِي بِهَا تَحْدِيدًا: حَرَكَةَ البَعْثِ وَالإحْيَاءِ الَّتِي أَوْقَدَ **البَارُودِي** شُعْلَتَهَا الأُولَى، وَكَانَ **أَحْمَد شَوقِي** تَمْثِيلَهَا الشِّعْرِيَّ الأَنْصَعَ، ثُمَ "الحَرَائِقَ الوِجْدَانِيَّةَ"[35] الرُّومَانْسِيَّةَ الثَّلَاث: المَدْرَسَةُ المُهَاجِرِيَّةُ، شِمَالِيَّةً كَانَتْ أَوْ جَنُوبِيَّةً، وَمَدْرَسَةُ الدِّيوَانِ، ثُمَّ جَمَاعَةُ أَوْ مَدْرَسَةُ "أَبُولُو". وَتَتَمَثَّلُ الثَّوْرَةُ الشِّعْرِيَّةُ الثَّالِثَةُ فِي شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ، الَّذِي كَانَتْ شَرَارَتُهُ وَشَظَايَاهُ تَتَفَجَّرُ فِي جَمِيعِ الاتِّجَاهَاتِ، بِمَا

أَجَّجَ عَوَاصِفَ مُدَوِّيَةً؛ مُنَاصَرَةً وَمُنَاوَءَةً فِي الآنِ نَفْسِهِ، تَجَاوَزَتِ النَّقْدَ إِلَى بِنْيَةِ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ بِرُمَّتِهَا. وَصُولًا إِلَى التَّحَوُّلِ الرَّابِعِ الَّذِي وَقَّعَهُ الشُّعَرَاءُ المُتَحَلِّقُونَ حَوْلَ مَجَلَّةِ "شِعْر" اللُّبْنَانِيَّةِ، الَّذِينَ جَمَعَهُمُ المِزَاجُ الثَّائِرُ المُسْتَوفِزُ وَالقَلِقُ، وَفَرَّقَتْهُمُ الحَسَّاسِيَّاتُ الشِّعْرِيَّةُ وَالجَمَالِيَّةُ وَحَتَّى السِّيَاسِيَّةُ، وَقَدْ كَانَ شُعَرَاءُ قَصِيدَةِ النَّثْرِ أَجْمَحَ الأَصْوَاتِ المُعَبِّرَةِ عَنْ هَذِهِ الثَّوْرَةِ.

وَالآنَ:

إِذَا أَخَذْنَا تَارِيخَ تَوَقُّفِ "مَجَلَّةِ شِعْر" نِهَائِيًّا عَنِ الصُّدُورِ فِي سَنَةِ 1970، عِنْدَ عَدَدِهَا الرَّابِعِ وَالأَرْبَعِينَ، مُؤَشِّرًا زَمَنِيًّا عَلَى آخِرِ حَرَكَةٍ شِعْرِيَّةٍ فِي العَالَمِ العَرَبِيِّ، فَإِنَّ المُدَّةَ الزَّمَنِيَّةَ الفَاصِلَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّحْظَةِ الرَّاهِنَةِ تَصِلُ إِلَى 55 سَنَةً، أَيْ مَا يَتَجَاوَزُ نِصْفَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، مَعَ أَنَّهُ مِنَ المُهِمِّ أَنْ نَنْتَبِهَ إِلَى أَنَّ "مَجَلَّةَ شِعْر" لا يُمْكِنُ عَدُّهَا مُجَرَّدَ مَجَلَّةٍ، بَلْ حَرَكَةً شِعْرِيَّةً تَجَمَّعَ حَوْلَهَا لَفِيفٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ، تَكُونُ قَدِ اضْطَرَبَتْ كَثِيرًا فِي وَتِيرَةِ صُدُورِهَا، إِذْ تَوَقَّفَتْ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ لِأَسْبَابٍ ذَاتِيَّةٍ وَأُخْرَى مَوْضُوعِيَّةٍ، بِمَا يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الحَرَكَةَ الشِّعْرِيَّةَ كَانَتْ تَعِيشُ حَالَةً مِنَ التَّمَلْمُلِ دَاخِلِيًّا، وَأُخْرَى مِنَ القَبُولِ الجَمَاهِيرِيِّ أَوِ الرَّفْضِ العَامِّ خارجيا[36].

وَرُبَّمَا سَهُلَ أَنْ نُلَاحِظَ هُنَا تَقَابُلًا مُهِمًّا وَدَالًّا، فَفِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، عَرَفَ الشِّعْرُ العَرَبِيُّ الحَدِيثُ وَالمُعَاصِرُ أَرْبَعَةَ حَرَائِقَ شِعْرِيَّةٍ كُبْرَى، تَتَالَتْ مُتَسَارِعَةً، وَتَلَاحَقَتْ كَمَدَارَاتِ مَوْجَةٍ عَارِمَةٍ، بَيْنَمَا خَلَا نِصْفُهُ الثَّانِي خُلُوًّا يَكَادُ يَكُونُ تَامًّا مِنْ هَذِهِ الثَّوْرَاتِ وَالحَرَكَاتِ، وَإِنْ لَمْ يَخْلُ مِنَ الشِّعْرِ طَبْعًا!

وَالسُّؤَالُ: مَنْ أَطْفَأَ هَذِهِ الحَرَائِقَ؟

بِدَايَةً، قَدْ لَا يَسْتَقِيمُ فِي مَنْطِقِ التَّارِيخِ أَنْ نَتَوَقَّعَ اسْتِمْرَارَ هَذِهِ الحَرَكَاتِ، وَدَوَامَ تَوَقُّدِ هَذِهِ الحَرَائِقِ، لِأَنَّهَا سَتَظَلُّ فِي المُطْلَقِ مَحْكُومَةً بِسِيَاقَاتٍ مُعَقَّدَةٍ وَمُتَشَابِكَةٍ، نَشْأَةً وَتَحَلُّلًا، تَتَجَاوَزُ الشِّعْرِيَّ إِلَى الاجْتِمَاعِيِّ وَالثَّقَافِيِّ العَامِّ، المُرْتَبِطِ بِشُرُوطِ الوَطَنِ العَرَبِيِّ، فِي السِّيَاسَةِ وَالاجْتِمَاعِ وَالأَخْلَاقِ وَالدِّينِ وَالعِلْمِ. لَقَدْ نَشَأَتْ هَذِهِ الحَرَكَاتُ وَالمَدَارِسُ الشِّعْرِيَّةُ مُسْتَجِيبَةً لِنَسَقِ المَرْحَلَةِ، وَتَحَلَّلَتْ تَوَافُقًا مَعَ نَسَقِ المَرْحَلَةِ وَمُعْطَيَاتِهَا أَيْضًا.

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ المُقَارَبَةَ مَعْنِيَّةٌ بِالمَسَافَةِ بَيْنَ الشِّعْرِ وَنَظَرِيَّتِهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ هَدَفَهَا لَا يَرْمِي إِلَى التَّقْيِيمِ وَإِصْدَارِ الأَحْكَامِ حَوْلَ هَذِهِ الحَرَكَاتِ المُتَحَقِّقَةِ تَارِيخِيًّا وَشِعْرِيًّا، وَلَا حَوْلَ "مَا بَعْدِيَّاتِهَا" الَّتِي بَدَا فِيهَا النِّصْفُ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، نِصْفَ قَرْنٍ تَحَلَّلَتْ فِيهِ سَرْدِيَّاتُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ، وَتَغَشَّتْهُ ضَبَابِيَّةٌ حَسِيرَةٌ، تَمْنَعُ مِنْ تَبَيُّنِ المَعَالِمِ وَالمَلَامِحِ الكُبْرَى لِهَذَا الشِّعْرِ، وَهَذَا التَّبَيُّنُ وَالتَّحْدِيدُ النَّقْدِيَّانِ هُمَا فِعْلَانِ نَظَرِيَّانِ مَطْلُوبَانِ الآنَ وَهُنَا، قَصْدَ بِنَاءٍ أَوِ اسْتِئْنَافِ تَفْكِيرٍ نَظَرِيٍّ، يَتَغَيَّا البَحْثَ عَنْ أَسْبَابِ التَّصَدُّعِ، وَانْطِفَاءِ الحَرَائِقِ الشِّعْرِيَّةِ وَعَدَمِ اسْتِمْرَارِيَّتِهَا، أَوْ عَوْدَةِ نُشُوبِهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَتَجَاوُزِ الفَجَوَاتِ الَّتِي تَشْكُو مِنْهَا النَّظَرِيَّةُ، وَهِيَ تَتَمَلَّى هَذَا السَّدِيمَ الشِّعْرِيَّ الَّذِي بِلَا مَلَامِحَ.

وَلَعَلَّهُ مِنَ المُهِمِّ أَنْ نُشِيرَ إِلَى أَنَّ دَعْوَةَ النَّظَرِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ إِلَى هَذِهِ المُهِمَّةِ، لَيْسَتْ تَرَفًا نَقْدِيًّا، وَلَا مُجَرَّدَ اسْتِدْرَاجٍ لَهَا لِمُتَابَعَةِ مَوْضُوعِهَا الَّذِي هُوَ الشِّعْرُ وَمُرَافَقَتِهِ، بَلْ هُوَ، فِي مَنْظُورِ هَذِهِ المُقَارَبَةِ، مَطْلَبٌ مَعْرِفِيٌّ، يُمْكِنُنَا حَالَ تَحَقُّقِهِ، مِنْ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا الشِّعْرَ الَّذِي يُكْتَبُ اليَوْمَ، لِأَنَّ نَظَرِيَّةَ الشِّعْرِ مِنْ مَهَامِّهَا أَنْ "تُوَفِّرَ تَفْسِيرًا مُعَاصِرًا وَتَعْلِيقًا وَتَقْوِيمًا وَتَقْيِيمًا لِمَرَاحِلِ الأَدَبِ الحَالِيَّةِ". وَمَطْلَبٌ حَضَارِيٌّ فِي الآنِ نَفْسِهِ، لِأَنَّهُ يُمْكِنُنَا، أَيْضًا، حَالَ تَحَقُّقِهِ، مِنْ أَنْ نَتَبَيَّنَ هُوِيَّةَ هَذَا الشِّعْرِ العَرَبِيِّ، وَأَنْ تَنْجَلِيَ أَمَامَنَا صُورَتُهُ الحَضَارِيَّةُ، وَشَخْصِيَّتُهُ الفَنِّيَّةُ وَالجَمَالِيَّةُ، فِي اسْتِقْلَالِهَا عَنْ/ وَتَدَاخُلِهَا مَعَ - التَّجَارِبِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي يَعْرِفُهَا العَالَمُ اليَوْمَ.

وَتَفْصِيلًا لِهَذَا التَّصَوُّرِ سَتُحَاوِلُ الفَقَرَاتُ القَادِمَةُ أَنْ تُشِيرَ بِتَرْكِيزٍ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الأَسْئِلَةِ أَوِ المَنَاطِقِ الرَّخْوَةِ؛ الَّتِي تَظَلُّ بِحَاجَةٍ إِلَى تَعْمِيقِ البَحْثِ التَّنْظِيرِيِّ فِيهَا. وَالَّتِي يُمْكِنُ بَسْطُهَا فِيمَا يَأْتِي:

1-2-2- إِنَّ إِعَادَةَ تَأَمُّلِ المَشْهَدِ الشِّعْرِيِّ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ وَالمُعَاصِرِ، فِي العُقُودِ الأَخِيرَةِ مِنَ القَرْنِ التَاسِعِ عَشَرٍ، وَفِي النِّصْفِ الأَوَلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، يُمْكِنُ أَنْ تَكْشِفَ عَنْ ظَاهِرَةٍ لَافِتَةٍ، وَهِيَ أَنَّ أَغْلَبَ الحَرَكَاتِ وَالمَدَارِسِ الشِّعْرِيَّةِ إِنَّمَا نَشَأَت وَتَشَكَّلَت تَصَوُّرَاتُهَا الإِبْدَاعِيَّةُ حَوْلَ مَجَلَاتٍ أَدَبِيَّةٍ وَنَقْدِيَّةٍ، أَوْ تَكَوَّنَت عَلَى ضِفَافِ النِّقَاشَاتِ الخَصِيبَةِ دَاخَلَ الصَّالُونَاتِ الأَدَبِيَّةِ، أَو تَفَرَّعَتِ عَنْ حَرَكَاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، مَثَّلَ الشِّعْرُ صَوْتَهَا الأَدَبِيَّ وَمُوسِيقَاهَا التَّصْوِيرِيَّةَ، بِتَعْبِيرِ النَّاقِدِ **صَلَاح فضل** فِي كِتَابِهِ "تَحَوُّلَاتُ الشِّعْرِيةِ العَرَبِيَّةِ "، الَّذِي أَحَلْنَا عَلَيْهِ فِي فَقَرَاتٍ سَابِقَةٍ.

فَرُوادُ مَدْرَسَةِ البَعْثِ وَالإِحْيَاءِ، هُمْ شُعَرَاءُ اسْتِعَادَةٍ وَانْطِلَاقٍ، فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا، وَكَانَ اتْجَاهُهُم إِلَى المَاضِي الشِّعْرِيِّ الحَيِّ يتَوَازَى وَبِالقُوَّةِ نَفْسِهَا، وَبِالرَّغْبَةِ ذَاتِهَا، مَعَ اتِجَاهِهِم إِلَى المُسْتَقْبَلِ. وَرُبَّمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَقرَأَ مِزَاجَهُم الشِّعْرِيِّ المُتَوَثِّبَ فِي ضَوْءِ مَا سَمَّاهُ النَاقِدُ "**جابر عصفور** بـ" بِالدُعْوَةِ إِلَى تَجْدِيْدِ الفِكْرِ" [37]الَّتِي كَانَت "قَرِيْنَةَ إِعَادَةِ فَتْحِ بَابِ الاجْتِهَادِ بِإِعْمَالِ العَقْلِ فِي مُوَاجَهَةِ المُشْكِلَاتِ الطَّارِئَةِ، وَالبَحْثِ عَنْ حُلُولٍ مُبْتَكَرَةٍ لِمُحْدَثَاتِ المُتَغيِّرَاتِ الجَدِيْدَةِ."[38] وَهُوَ يَعْنِي بِالتَّجْدِيْدِ هُنَا كُلَّ مَشَارِيْعِ النُّهُوضِ الحَضَارِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ الَّتِي تَفَصَّحَ خِطَابُهَا، وَأَعْلَنَ عَنْ نَفْسِهِ فِي كِتَابَاتِ "**جمال الدين الأفغاني**" (1838– 1897)،و"**محمد عبده**"(1849 – 1905) في مصر، و"**شكيب أرسلان**"(1869-1946) في لبنان، و"**عبد الحميد بن باديس**"(1889-1940) في الجزائر، و"**خير الدين التونسي**"(1822- 1890) في تونس، و" **محمد السنوسي** (1787-1859) في ليبيا، وَغَيْرُهُم كَثِيْرٌ، مَشْرِقًا وَمَغْرِبًا.

وَلَمْ يَكُنِ الشِّعْرُ الإِحْيَائِيُّ صَدًى نَهْضَوِيًّا لِهَذِهِ المَشَارِيعِ الإِصْلَاحِيَّةِ، بِقَدْرِ مَا كَانَ تَعْبِيرًا عَنْ مَشْرُوعٍ خَلَاصِيٍّ مِنَ الاتِّبَاعِ وَالجُمُودِ وَالتَّكَلُّسِ، قَائِمٍ عَلَى العَوْدَةِ إِلَى مَبْدَإِ القُوَّةِ فِي المَاضِي، وَهُوَ المَبْدَأُ الَّذِي ذَوَّبَ عِنْدَ شُعَرَاءِ الإِحْيَاءِ الحُدُودَ الفَاصِلَةَ بَيْنَ المَاضِي/التُّرَاثِ، وَبَيْنَ المُسْتَقْبَلِ، لَا الشِّعْرِيِّ فَحَسْبُ، بَلِ المُسْتَقْبَلِ العَرَبِيِّ فِي شُمُولِيَّتِهِ الكُبْرَى.

وَوَفْقَ التَّصَوُّرِ نَفْسِهِ، ارْتَبَطَتْ نَشْأَةُ المَدَارِسِ وَالاتِّجَاهَاتِ الشِّعْرِيَّةِ الرُّومَانْسِيَّةِ العَرَبِيَّةِ بِتَأْسِيسِ صَالُونَاتٍ أَدَبِيَّةٍ، كَانَتْ نِقَاشَاتُهَا الثَّرِيَّةُ مُنْطَلَقًا لِصِيَاغَةِ رُؤًى وَمَشَارِيعَ أَدَبِيَّةٍ وَنَقْدِيَّةٍ، أَثْمَرَتِ العَشَرَاتِ مِنَ النُّصُوصِ وَالمُؤَلَّفَاتِ وَالسِّجَالَاتِ وَالمَجَلَّاتِ وَسِجِلَّاتِ المَعَارِكِ المُحْتَدِمَةِ بَيْنَ الأَقْطَابِ الكِبَارِ حِينَئِذٍ. وَتُعَدُّ "الصَّالُونَاتُ الأَدَبِيَّةُ" ظَاهِرَةً حَضَارِيَّةً، رُبَّمَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَلَمَّسَ نَمَاذِجَهَا التَّارِيخِيَّةَ الأُولَى بِوُضُوحٍ فِي مَجَالِسِ القُدَمَاءِ مِنَ العَرَبِ وَأَسْوَاقِهِمُ الشِّعْرِيَّةِ، وَفِي أَشْكَالِهَا الأَكْثَرِ وتَنْظِيمًا وَتَأْثِيرًا، كَمَا هُوَ الأَمْرُ مَعَ "صَالُونِ **وَلَّادَةَ بِنْتِ المُسْتَكْفِي**". وَرُبَّمَا جَازَ أَيْضًا أَنْ نَكْتَفِيَ بِذِكْرِ نَمُوذَجَيْنِ مِنْ هَذِهِ "الصَّالُونَاتِ" الحَدِيثَةِ، وَهِيَ الَّتِي تَعْنِينَا هُنَا، وَيَتَمَثَّلُ الأَوَّلُ فِي صَالُونِ الأَدِيبَةِ "**مِي زِيَادَةَ**" الَّذِي تَأَسَّسَ فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، وَفِي الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ أَفْرِيلَ عَامَ 1913، تَحْدِيدًا، وَهُوَ "الصَّالُونُ" الَّذِي كَانَ يَتَدَاعَى إِلَيْهِ كِبَارُ الأُدَبَاءِ وَالمُثَقَّفِينَ وَالوُجَهَاءِ، وَظَلَّ نَشَاطُهُ مُسْتَمِرًّا عَلَى مَدَارِ عِشْرِينَ عَامًا.

أَمَّا الثَّانِي فَهُوَ "صَالُونُ" **العَقَّادِ**، الَّذِي كَانَتْ جَلَسَاتُهُ تُعْقَدُ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، وَيَؤُمُّهُ الطُّلَّابُ وَالأُدَبَاءُ وَالشُّعَرَاءُ وَالمُثَقَّفُونَ مِنْ مِصْرَ وَمِنْ خَارِجِهَا، وَلَعَلَّ كِتَابَ مُرِيدِهِ "**أَنِيس مَنْصُور**": "فِي صَالُونِ العَقَّادِ كَانَتْ لَنَا أَيَّامٌ"، أَنْ يَكُونَ أَوْفَى الكُتُبِ وَصْفًا لِتَأْثِيرِ هَذَا الصَّالُونِ فِي تَدْبِيرِ شَأْنِ الفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالأَدَبِ وَالسِّجَالَاتِ الأَدَبِيَّةِ المُحْتَدِمَةِ، فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ.

وَغَيْرَ بَعِيدٍ عَنْ هَذَا الِالْتِفَافِ حَوْلَ المُنْتَدَيَاتِ وَالصَّالُونَاتِ وَالمَجَالِسِ الفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ تُمَثِّلُ فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، ظَاهِرَةً ثَقَافِيَّةً وَحَضَارِيَّةً لَافِتَةً وَبَانِيَةً، كَانَتِ المَجَلَّاتُ الأَدَبِيَّةُ العَامَّةُ وَالمُتَخَصِّصَةُ، تُمَثِّلُ نَوَاةَ تَشَكُّلِ كَثِيرٍ مِنَ المَدَارِسِ وَالحَرَكَاتِ الأَدَبِيَّةِ، وَمِسَاحَةً مَفْتُوحَةً لِلثَّوْرَاتِ الشِّعْرِيَّةِ، خَاصَّةً تِلْكَ الَّتِي تَنْزِعُ نَحْوَ الحَدَاثَةِ، وَالحَدَاثَةِ الشِّعْرِيَّةِ تَحْدِيدًا، مُتَبَنِّيَةً عَبْرَ بَيَانَاتِهَا "مَبَادِئَ" هَذِهِ الحَدَاثَةِ، وَمُبَشِّرَةً بِوُعُودِهَا وَمَشْرُوعِهَا التَّحْدِيثِيِّ، الَّذِي كَانَ يُرْجَى مِنْهُ أَنْ يُؤَسِّسَ لِتَحَوُّلٍ تَارِيخِيٍّ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ. وَرُبَّمَا جَازَ أَنْ نَكْتَفِيَ مَرَّةً أُخْرَى، بِالإِشَارَةِ إِلَى مَجَلَّةٍ وَاحِدَةٍ؛ هِيَ مَجَلَّةُ "شِعْر" اللُّبْنَانِيَّةُ، الَّتِي أَسَّسَ لَهَا الشَّاعِرُ "**يُوسُفُ الخَالُ**" بَطْرِيرْكُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ، كما وصفه الشاعر **نزار قباني** [39] فِي مُقَدِّمَةٍ كَتَبَهَا بِمُنَاسَبَةِ صُدُورِ كِتَابٍ لِلشَّاعِرِ بِعُنْوَانِ" دَفَاتِرُ الأَيَّامِ- أَفْكَارٌ عَلَى وَرَقٍ". وَرُبَّمَا كَانَتْ كَلِمَةُ **نزار قباني** فِي المُقَدِّمَةِ نَفْسِهَا، الَّتِي تَقُولُ: "الرَّجُلُ، أَشْعَلَ عُودَ ثِقَابٍ فِي غَابَةِ الشِّعْرِ.. وَلَمْ يَعُدِ مَسْؤُولاً عَمَّنْ أَحْرَقَ أَصَابِعَهُ.. أَو أَحْرَقَ ثِيَابَهُ.. أَو عَمَّنْ لَا يَزَالُ يُشْوَى عَلَى نَارِ الحَدَاثَةِ. يُوسُفُ الخَالِ لَيْسَ مَسْؤُولًا عَنِ خَرَابِ البَصْرَةِ."[40] كَافِيَةً لِتُلَخِّصَ أَثَرَ "مَجلة شعر" وَأَزْمَتَهَا فِي الآنِ نَفْسِهِ.

فَلَقَد تَحَلَّقَ حَولَ نَارِ المَجَلَّةِ، عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ، يَقِفُ فِي مُقَدِّمَتِهِم: **أدونيس، أنسي الحاج، خليل حاوي، شوقي أبي شقرا، ومحمد الماغوط**، وَبَدَا هَؤلاءِ الشُّعَرَاءُ أَشْبَهَ بِالمُبَشِّرِينَ الكِبَارَ الَّذِينَ يُلْقَونَ كَلِمَاتِهِم وَعِضَاتِهِم دَوْنَ أَنْ يَأْبَهُوا بِشِيءٍ، عَيْنٌ عَلَى الهَدْمِ وَأُخْرَى عَلَى البِنَاءِ، كَمَا يَتَصَوَّرُنَهُمَا، وَلَعَلَّهُ مِنَ الدَّالِ أَنْ تَحْمِلَ القَصِيْدَةُ الأُولَى مِنْ دِيوَانِ "الحُرِيَّة" الَّذِي كَتَبَهُ **يوسف الخال** عام 1945، عُنْوَانَ "الفجر الجديد"، الَّتِي يَقُولُ[41] فِي مَقْطَعِهَا الأَخِيْرِ:

سَأَخْلُقُ فَجْرًا جَدِيْدَا
إِذَا الفَجْرُ لَمْ يَطْلُعِ
وَأَبْنِي غَدًا يَدَّعِيْهِ
الخُلُودُ مَتَى يَدَّعِي.

لَقَدْ كَانَتْ "مَجَلَّةُ شِعْرٍ" مِنْ وِجْهَةِ نَظَرٍ مُعَيَّنَةٍ، فِي حِرْصِهَا عَلَى تَكْرِيسِ خِطَابِ التَّخَطِّي وَالتَّجَاوُزِ، صَدًى لِمَا كَانَ يَعْتَمِلُ فِي نُفُوسِ شُعَرَائِهَا، وَفِي الوِجْدَانِ العَرَبِيِّ عُمُومًا، مِنْ قَلَقٍ وَاضْطِرَابٍ وَرَغْبَةٍ فِي الانعتاق مِنْ كُلِّ القُيُودِ، أَوْ مَا فُهِمَ عَلَى أَنَّهُ كَذَلِكَ، خَاصَّةً أَنَّ لَحْظَةَ انْبِثَاقِ هَذِهِ المَجَلَّةِ (عَامَ 1957) تَكُونُ قَدْ تَزَامَنَتْ مَعَ مِزَاجٍ ثَوْرِيٍّ عَرَبِيٍّ عَامٍّ، ضِدَّ الاسْتِعْمَارِ الأَجْنَبِيِّ، وَضِدَّ كُلِّ أَشْكَالِ القَهْرِ السِّيَاسِيِّ وَالاجْتِمَاعِيِّ.

إِنَّنَا لَا نَرْمِي مِنْ هَذَا العَرْضِ، إِلَى إِعَادَةِ كِتَابَةِ تَارِيخِ هَذِهِ الحَرَكَاتِ وَالثَّوْرَاتِ الشِّعْرِيَّةِ، وَلَكِنَّنَا نَهْدِفُ أَسَاسًا إِلَى الكَشْفِ عَنْ الارْتِبَاطِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ فَكُّهُ، بَيْنَ جَمِيعِ هَذِهِ الحَرَائِقِ الشِّعْرِيَّةِ، وَبَيْنَ دَعَائِمِهَا الأَسَاسِيَّةِ، مُمَثَّلَةً فِي النَّوَادِي وَالصَّالُونَاتِ وَالمَجَلَّاتِ الأَدَبِيَّةِ، الَّتِي غَالِبًا مَا تَكُونُ نَوَى لِتَشَكُّلِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ أَوْ تِلْكَ، تَسْتَقْطِبُ الشُّعَرَاءَ إِلَيْهَا فِي حَالَةٍ مِنَ الجَذْبِ وَالتَّدَاعِي العَفْوِيِّ. كَمَا نَهْدِفُ مِنْ هَذَا العَرْضِ أَيْضًا، وَلِسَبَبٍ أَقْوَى مَنْهَجِيًّا، أَنْ يَكُونَ مِهَادًا لِلْحَدِيثِ عَمَّا سَمَّاهُ العُنْوَانُ/المُنْطَلَقُ، **بَانْطِفَاءِ الحَرَائِقِ**؟ بِسُؤَالٍ آخَرَ: مَاذَا حَدَثَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ شِعْرِيًّا؟ وَلِمَاذَا انْكَمَشَتْ دَائِرَةُ الحَرَكَاتِ وَالثَّوْرَاتِ الشِّعْرِيَّةِ، وَكَيْفَ تَحَوَّلَتْ إِمْبَرَاطُورِيَّةُ الشِّعْرِ، الَّتِي كَانَتْ مُمْتَدَّةً، إِلَى جُزُرٍ مُعْزُولَةٍ، وَأَرْخَبِيلَاتٍ فَرْدِيَّةٍ؟ وَمَاذَا قَدَّمَ التَّنْظِيرُ الشِّعْرِيُّ أَمَامَ هَذِهِ المَدِينَةِ/القَلْعَةِ الَّتِي تَقَلَّصَتْ حُدُودُهَا، وَبَدَأَتْ أَسْوَارُهَا فِي التَّصَدُّعِ، وَافْتَضَحَ سِرُّ قَدَاسَتِهَا؟

مُنْذُ تَدَاعِي آخِرِ المَدَارِسِ وَالحَرَكَاتِ الشِّعْرِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، وَلَعَلَّنَا لَا نَعْلَمُ مَا هِيَ؟ لِأَنَّ العِبْرَةَ لَيْسَتْ فِي التَّارِيخِيِّ المُتَعَيِّنِ بِالشَّهْرِ أَوْ بِالسَّنَةِ، بَلْ بِامْتِدَادِ أَثَرِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ أَوْ تِلْكَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ قِيَاسَ هَذَا الأَثَرِ لَيْسَ بِالأَمْرِ الهَيِّنِ

اليَسِيرِ. أَقُولُ: مُنْذُ تَدَاعِي آخِرِ مَدْرَسَةٍ أَوْ حَرَكَةٍ شِعْرِيَّةٍ، وَبِمَا يَتَجَاوَزُ نِصْفَ قَرْنٍ، لَمْ يَعُدْ مُمْكِنًا أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنْ وَاقِعٍ شِعْرِيٍّ وَاضِحِ المَلَامِحِ، بَيِّنِ المَعَالِمِ، فَقَد فَتَّتَ الإِعْلَامُ [42] الرَّقْمِيُّ وَوَسَائِطُ التَّوَاصُلِ الاِجْتِمَاعِيِّ المَشْهَدَ الأَدَبِيَّ وَالشِّعْرِيَّ، وَانْتَصَرَتِ التَّجَارِبُ الشِّعْرِيَّةُ لِفَرْدِيَّتِهَا، وَقَدْ تَرَتَّبَ عَنْ ذَلِكَ نَتَائِجُ كَثِيرَةٌ؛ أَكْثَرُهَا خُطُورَةً؛ أَنْ تَتَّسِعَ دَائِرَةُ الشِّعْرِ خَارِجَ تَيَّارَاتٍ مُوَحَّدَةٍ أَوْ مُتَآلِفَةٍ، يَسْتَطِيعُ النَّاقِدُ أَنْ يُلَاحِظَ حَرَكِيَّتَهَا مِيلَادًا وَسَيْرُورَةً وَمَآلًا، أَوْ أَنْ تَنْغَمِرَ التَّجَارِبُ الشِّعْرِيَّةُ الوَاعِدَةُ وَالقَوِيَّةُ فِي دَوَّامَةِ الهَشَاشَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وَالتَّشَوُّهَاتِ الذَّوْقِيَّةِ، وَاسْتِسْهَالِ الكِتَابَةِ، بِاعْتِبَارِهَا تَتْوِيجًا مَرَضِيًّا لِانْفِتَاحٍ غَيْرِ مُشْرُوطٍ لِلْقَنَوَاتِ وَالمَنَابِرِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ خَارِجَ كُلِّ ضَبْطٍ نَقْدِيٍّ وَمَعْرِفِيٍّ. يَتِمُّ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي سِيَاقَاتٍ عَرَبِيَّةٍ وَعَالَمِيَّةٍ، فَقَدَ فِيهَا الشِّعْرُ ارْتِبَاطَهُ بِسَرْدِيَّاتٍ كَبِيرَةٍ، كَانَتْ تُمَثِّلُ الحَاضِنَةَ الفِكْرِيَّةَ لِتَجَارِبِهِ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا، تَشَقَّقَتِ القِشْرَةُ البَرَّاقَةُ عَنْ خَوَاءٍ وَفَرَاغٍ مُرْعِبَيْنِ، بَعْدَ أَنْ سَقَطَتْ أَغْلَبُ التَّجَارِبِ فِي تَأْلِيهِ اللُّغَةِ، بَلْ فِي تَجْفِيفِ عُمْقِهَا الشِّعْرِيِّ، الَّذِي يُمَثِّلُ وَاحِدًا مِنْ أَعْتَى حُصُونِهَا مَنَعَةً.

حَتَّى إِذَا أَضَفْنَا إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ انْحِسَارَ المَدِّ وَالعُمْقِ الفَلْسَفِيَّيْنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ التَّجَارِبِ الشِّعْرِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، تَكُونُ صُوَرُ القَتَامَةِ وَالضَّبَابِيَّةِ قَدِ اكْتَمَلَتْ كَتَوْصِيفٍ لِلشِّعْرِ العَرَبِيِّ فِي عُقُودِهِ الأَخِيرَةِ.

اِعْتِبَارًا لِكُلِّ ذَلِكَ، تَكُونُ الحَاجَةُ مَاسَّةً إِلَى تَنْظِيرٍ جَدِيدٍ أَوْ مُتَجَدِّدٍ، يُعَايِنُ هَذِهِ الصُّدُوعَ، وَيَتَمَلَّى تَشَقُّقَاتِ النَّظَرِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ، لِيَقْتَرِحَ مَدَاخِلَ أُخْرَى، تَتَجَاوَزُ الضَّبَابِيَّةَ إِلَى الوُضُوحِ، وَالفَوْضَى إِلَى النِّظَامِ، وَالتَّعَدُّدَ إِلَى الكُلِّيِّ الشَّامِلِ.

إِنَّ النَّظَرِيَّةَ الشِّعْرِيَّةَ تَنْطَلِقُ مِنَ الوَقَائِعِ النَّصِّيَّةِ الفَرْدِيَّةِ حَتْمًا، لَكِنَّهَا لَا تَتَوَقَّفُ عِنْدَ شَبَكَةِ الخُصُوصِيَّاتِ وَالرُّؤَى الذَّاتِيَّةِ الفَرْدِيَّةِ، بَلْ تَتَعَدَّاهَا إِلَى أَنْ تَضَعَ بَيْنَ يَدَيْ الشُّعَرَاءِ وَالنُّقَّادِ وَالمُتَلَقِّينَ التَّصَوُّرَ العَامَّ، وَالأَسْلِحَةَ وَالأَدَوَاتِ الضَّرُورِيَّةَ لِفَهْمِ مَا يَجْرِي شِعْرِيًّا. وَنَظَرِيَّةُ الشِّعْرِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَيْسَتْ مَتْنًا جَاهِزًا وَقَارًّا، لَكِنَّهَا اِسْتِنْبَاطٌ مَعْرِفِيٌّ.

2-2-2- وراء فتحة الباب: العالم الشعري أوسع-

مُذْ كَانَتِ القَصِيدَةُ وَهِيَ قَلِقَةٌ عَلَى نَفْسِهَا. إِنَّهَا بِالتَّعْرِيفِ كَائِنٌ لَا مُطْمَئِنٌّ؟ يُفْزِعُهَا الشَّارِدُ مِنَ المَعْنَى لَا تَصِلُ إِلَيْهِ، وَيُرْبِكُهَا نَغْمٌ تَطْلُبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ، وَيَشُلُّهَا الخَوْفُ مِنْ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَى الشِّعْرِ! لِذَلِكَ يَبْدُو تَارِيخُ الفَنِّ، هُوَ تَارِيخُ انْتِقَالِهِ، أَي تَارِيخُ تَجَاوُزِهِ المُسْتَمِرِّ لِأَشْكَالِهِ وَتَقَالِيدِهِ وَأَنْسَاقِهِ. وَلَوْ ظَلَّ وَاقِفًا عِنْدَ فُتُوحَاتِهِ الأُولَى لَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ مَنظُومَاتِ الحَيَاةِ وَالوُجُودِ.

لَا يُعَادِي الفَنُّ شَيْئًا قَدْرَ عَدَاوَتِهِ لِلْجَامِدِ وَالثَّابِتِ وَالقَارِّ.

أَمَامَ هَذَا الاِنْفِتَاحِ المُسْتَمِرِّ، وَالتَّنَاسُلَاتِ الإِبْدَاعِيَّةِ وَالنَّصِّيَّةِ الَّتِي يَسْتَدْعِي بَعْضُهَا بَعْضًا، لَا يُمْكِنُ لِلنَّظَرِيَّاتِ وَالمَنَاهِجِ وَالمَفَاهِيمِ النَّقْدِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ، أَنْ تَكْتَفِيَ بِالنَّظَرِ إِلَى العَالَمِ الشِّعْرِيِّ مِنْ فَتْحَةِ البَابِ الصَّغِيرَةِ، لِأَنَّ هَذَا العَالَمَ أَوْسَعُ مِمَّا قَدْ نَتَصَوَّرُ. وَتَرَى هَذِهِ المُقَارَبَةُ أَنَّ نَظَرِيَّةَ الشِّعْرِ المُعَاصِرَةَ تَكُونُ قَدْ وَقَعَتْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا التَّرَاجُعِ عَنِ المُوَاكَبَةِ وَالمُمَاشَاةِ. وَهِيَ بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ مَدْعُوَّةٌ أَنْ تُوَسِّعَ نَظَرَهَا إِلَى تَحَوُّلَاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ وَ"تِقَانِيَّةٍ" وَثَقَافِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، وَإِلَى أَشْكَالٍ شِعْرِيَّةٍ ذَاتِ هُوِيَّةٍ هَجِينَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ تَقَالِيدَ وَصِيَغٍ فِي الكِتَابَةِ وَالتَّلَقِّي جَدِيدَةٍ، وَإِلَى ضَرُورَةِ الاِعْتِرَافِ بِأَصْوَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، قَادِمَةٍ مِنْ ثَقَافَاتٍ أُخْرَى، تُصَنَّفُ فِي دَائِرَةِ الهَامِشِ، أَوْ هِيَ مُنْتَبِذَةٌ أَمَاكِنَ قَصِيَّةً دَاخِلَ الثَّقَافَةِ الوَاحِدَةِ نَفْسِهَا.

إِنَّ نَاقِدًا حَصِيفًا كَابْنِ قُتَيْبَةَ فِي تُرَاثِنَا العَرَبِيِّ، ظَلَّتْ عَيْنُهُ، وَهُوَ يُنَظِّرُ لِلقَصِيدَةِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ، مُتَّجِهَةً صَوْبَ قَصِيدَةِ المَرْكَزِ، قَصِيدَةِ المَدْحِ، فِي حِينِ سَقَطَتْ مِنْ غِرْبَالِهِ العَشَرَاتُ مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَرْسُمُ لِنَفْسِهَا

مَسْلَكًا مُخْتَلِفًا، وَتَصُوغُ لِلعَالَمِ رُؤْيَةً مُغَايِرَةً، وَهَذَا نَمُوذَجٌ تَنْظِيرِيٌّ قَدِيمٌ مِنْ تُرَاثِنَا، رُبَّمَا لَمْ تَسْلَمْ مِنْ أَعْطَابِهِ جُهُودُ التَّنْظِيرِ المُعَاصِرَةِ.

فَالوَاقِعُ الشِّعْرِيُّ اليومَ لَا نَقَاءَ فِيْهِ، بِالمَعْنَى الَّذِي يُقَدِّمُهُ وَاقِعًا هَجِيْنًا وَمُتَدَافِعًا وَمُنْفَعِلًا.. فَحَرَكَةُ المُثَاقَفَةِ الَّتِي تَتِمُّ قَسْرًا وَطَوْعًا، وَالَّتِي يَرَى بَعْضُ الدَّارِسِينَ أَنَّهَا اسْتَجْلَبَتِ مَعَهَا قَصِيْدَةَ النَّثْرِ فِي الخَمْسِينيات مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ، "كَاسْتِجَابَةٍ لِعَوْلَمَةِ التَّشَظِّي وَانْتِشَارِهَا فِي بِلَادِنَا العَرَبِيَّةِ."[43] هِيَ نَفْسُهَا المُثَاقَفَةُ المُتَدَافِعَةُ الَّتِي هَيَّأَتِ المَنَاخَاتُ المُنَاسِبَةُ لِانْتِشَارِ مَفَاهِيْمَ انْهِيَّارِ نَظَرِيَّةِ الأَنْوَاعِ الأَدَبِيَّةِ، وَانْكِسَارِ الحُدُودِ الفَاصِلَةِ بَيْنَ الأَجْنَاسِ وَالأَشْكَالِ، وَبَدَتِ المَفَاهِيْمُ والمَعَايِيرُ الضَّابِطَةِ، والهُوِيَّاتِ النَّقِيَّةِ الوَاضِحَةِ، مَفَاهِيْمَ غَرِيْبَةً، لَيْسَ فِي الأَدَبِ فَحَسْب، بَلْ فِي مَنَاحِي النَّشَاطِ الإِنْسَانِيِّ عُمُومًا.

وَلِذَلِكَ فَالشِّعْرُ الرَّقْمِيُّ، أَوِ الآلِيُّ الَّذِي يَتَّخِذُ مِنَ الآلَةِ مَصْدَرًا كُلِّيًا لِكِتَابَةِ الشِّعْرِ، أَوْ مُسَاعِدًا ظَهِيرًا لِلشَّاعِرِ، أَوْ عَبْرَ اسْتِثْمَارِ الخَوَارِزْمِيَّاتِ وَقَوَاعِدِ البَيَانَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالشَّبَكَاتِ العَصَبِيَّةِ، يُمَثِّلُ مَجَالًا جَدِيدًا وَمَفْتُوحًا أَمَامَ جُهُودِ التَّنْظِيرِ وَالدَّرْسِ النَّقْدِيِّ، وَلَعَلَّ المُسْتَقْبَلَ لَا يَسْمَحُ بِالنَّظَرِ إِلَى هَذِهِ الأَشْكَالِ الشِّعْرِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا فَوَرَاتٍ سَطْحِيَّةً، سَيَجْرِفُهَا الزَّمَنُ وَتَتَجَاوَزُهَا تَجَارِبُ الإِنْسَانِ وَالشَّاعِرِ الفِعْلِيَّةُ، ارْتِكَانًا إِلَى فِكْرَةِ أَنَّ الإِبْدَاعَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا بَشَرِيًّا. إِذْ إِنَّهُ حَتَّى لَوْ صَحَّ ذَلِكَ، فَإِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُنْكِرَ أَنَّ هَذَا التَّوَجُّهَ سَيَتْرُكُ أَثَرَهُ البَيِّنَ فِيمَا يُكْتَبُ وَيُبْدَعُ إِنْسَانِيًّا، كَمَا سَيُوَجِّهُ – وَعَيْنَا ذَلِكَ أَمْ لَمْ نَعِ – ذَوْقَ المُتَلَقِّينَ، وَيَصُوغُ، بِالتَّالِي، رُؤْيَتَنَا لِلْعَالَمِ.

فَالأُطُرُ النَّظَرِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ، إِذًا، مُعَرَّضَةٌ إِلَى أَنْ تَتَأَخَّرَ إِذَا لَمْ تُوَاكِبْ، وَسَيَظَلُّ تَمَسُّكُهَا بِالأُطُرِ القَدِيمَةِ فِي فَهْمِ الشِّعْرِ وَتَلَقِّيهِ، دَلِيلًا عَلَى أَصَالَتِهَا، لَكِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَيْضًا عَلَامَةً عَلَى تَرَدُّدِهَا أَمَامَ فَهْمِ التَّحَوُّلَاتِ الحَادِثَةِ.

وَلَعَلَّهُ مِنَ المُهِمِّ أَنْ نُشِيرَ هُنَا، أَيْضًا، إِلَى أَنَّ أَشْكَالًا شِعْرِيَّةً عَدِيدَةً فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ، لَمْ يَتَمَكَّنِ الخِطَابُ التَّنْظِيرِيُّ مِنْ إِدْرَاجِهَا ضِمْنَ مَادَّةِ مُعَايَنَتِهِ، وَإِذَا كَانَتْ "قَصِيدَةُ النَّثْرِ" قَدْ أَخَذَتْ نَصِيبًا وَافِرًا مِنَ العِنَايَةِ النَّقْدِيَّةِ، وَالَّتِي عَلَى قُوَّتِهَا وَكَثَافَتِهَا لَمْ "تَحْسِمْ" فِي أَمْرِ هَذِهِ القَصِيدَةِ فِي مُسْتَوَيَاتِهَا المُخْتَلِفَةِ، فَإِنَّ مَا تَعْرِفُهُ الأَشْكَالُ المُسْتَجِدَّةُ مِنْ إِرْجَاءٍ تَنْظِيرِيٍّ يُثِيرُ كَثِيرًا مِنَ الأَسْئِلَةِ.

فَوَاقِعُ التَّنْظِيرِ النَّقْدِيِّ الشَّامِلِ لِقَصِيدَةِ "الوَمْضَةِ" أَوْ "التَّوْقِيعَةِ"، وَ"الشَّذْرَةِ"، وَ"الشِّعْرِ التَّوْلِيدِيِّ" المُعْتَمِدِ عَلَى التَّطْبِيقَاتِ الرَّقْمِيَّةِ، وَ"شِعْرِ الإِنْسْتَغْرَامِ" السَّرِيعِ وَالبَصَرِيِّ، وَ"شِعْرِ الوَاقِعِ الِافْتِرَاضِيِّ" الثُّلَاثِيِّ الأَبْعَادِ، الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى الوَاقِعِ المُعَزَّزِ، الَّذِي يُتَاحُ فِيهِ لِلْمُسْتَخْدِمِ التَّجَوُّلُ دَاخِلَ القَصِيدَةِ وَالتَّفَاعُلُ مَعَهَا، وَ"الشِّعْرِ التَّشَارُكِيِّ" الَّذِي يَتَعَاوَنُ فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ انْتِمَاءَاتِهِمُ المَذْهَبِيَّةِ وَالوَطَنِيَّةِ وَالمَكَانِيَّةِ، وَقَدْ كَانَتْ فَتَرَاتُ الحَجْرِ الَّتِي خَضَعَ لَهَا العَالَمُ فِي مَرْحَلَةِ انْتِشَارِ وَبَاءِ كُورُونَا مِسَاحَةً وَاسِعَةً لِظُهُورِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الكِتَابَةِ الشِّعْرِيَّةِ، بِحَيْثُ أُتِيحَ لِلشُّعَرَاءِ تَقَاسُمُ تَبَارِيحِهِمْ وَشَوَاغِلِ عُزْلَتِهِمْ عَنْ بُعْدٍ، مِنْ خِلَالِ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مَجْمُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ كَامِلَةٍ، يَشْتَرِكُونَ فِي كِتَابَتِهَا[44].

هَذِهِ الأَشْكَالُ الشِّعْرِيَّةُ تَبْدُو غَيْرَ مُغَطَّاةٍ نَظَرِيًّا، وَهِيَ فِي انْتِظَارِ أَنْ يَتِمَّ الانْخِرَاطُ بِهَا ضِمْنَ نَظَرِيَّةِ الشِّعْرِ فِي شُمُولِيَّتِهَا، قَصْدَ بِنَاءِ مِعْمَارٍ نَظَرِيٍّ وَنَقْدِيٍّ، تَتَعَدَّدُ فِيهِ الظَّوَاهِرُ وَالأَشْكَالُ وَالنُّصُوصُ، لَكِنَّهَا تَنْتَهِي جَمِيعًا عِنْدَ المَبَادِئِ العَامَّةِ وَالخُصُوصِيَّاتِ الإِبْدَاعِيَّةِ الكُبْرَى.

والخلاصة:

إِنَّ مَا تَمَّ عَرْضُهُ فِي الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ، لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ مُحَاوَلَةَ تَفْكِيرٍ فِي رَاهِنِ الشِّعْرِ، وَالشِّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِرِ تَحْدِيدًا، وَفِي المَنَاخَاتِ الَّتِي يَتَحَرَّكُ فِي سِيَاقِهَا، وَالمُؤَكَّدُ أَنَّ هَذَا التَّفْكِيرَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُلَامِسَ كُلَّ المَنَاطِقِ فِي خَارِطَةِ هَذِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ، الَّتِي تَرَى هَذِهِ المُقَارَبَةُ أَنَّهَا مُتَعَثِّرَةٌ فِي مُسْتَوَى بِنْيَتِهَا الدَّاخِلِيَّةِ، خَاصَّةً فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ وَمَطَالِعِ الوَاحِدِ وَالعِشْرِينَ، حَيْثُ تَتَبَدَّى إِحْدَاثِيَّاتُ هَذِهِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ مُتَبَاعِدَةً، رَجْرَاجَةً بِلَا ثَبَاتٍ، مُتَحَرِّكَةً عَلَى سُهُوبٍ رَمْلِيَّةٍ، بِمَا يُعَسِّرُ ضَبْطَ الحُدُودِ، وَرَسْمَ المَعَالِمِ، وَتَبَيُّنَ الرَّاهِنِ، وَمِنْ ثَمَّ المَآلَاتِ.

إِنَّ مِنْ شُرُوطِ النَّظَرِيَّةِ وَهِيَ تَسْتَأْنِفُ التَّفْكِيرَ فِي الشِّعْرِ المُعَاصِرِ وَتَحَوُّلَاتِهِ، أَنْ تَمْتَلِكَ أَدَوَاتِ اِسْتِيعَابِ التَّغَيُّرَاتِ التِّقَنِيَّةِ العَاصِفَةِ وَالسَّرِيعَةِ التَّشَكُّلِ، وَالعَمِيقَةِ التَّأْثِيرِ، وَتَمْعَنَ فِي التَّحْدِيقِ فِي العَلَاقَةِ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالمُتَلَقِّي، إِذْ هِيَ عَلَاقَةٌ مُتَضَرِّرَةٌ فِي أَكْثَرَ مِنْ مُسْتَوَى، وَتَتَأَمَّلَ بِوَعْيٍ مُنْفَتِحٍ وَمُتَجَاوِزٍ المُتْنَ الشِّعْرِيَّ المُعَاصِرَ لِصِيَاغَةِ رُؤْيَةٍ خَاصَّةٍ لَهُ، تُقِيمُ وَزْنًا لِلعَابِرِ الثَّقَافِيِّ، كَمَا هِيَ مَدْعُوَّةٌ أَيْضًا، أَنْ تُفَكِّرَ فِي مَفَاهِيمِ الشِّعْرِ وَالإِنْسَانِ وَالعَالَمِ، بِاعْتِبَارِهَا أَقَانِيمَ وُجُودِيَّةً مَرْكَزِيَّةً.

بِكَلِمَةٍ أُخْرَى: إِنَّهَا مَدْعُوَّةٌ أَنْ تَكُونَ مَرِنَةً، جَسُورَةً، وَتَفَاعُلِيَّةً، وَأَنْ تُرَكِّزَ عَلَى الجَوْهَرِ المَرْكَزِيِّ فِي الإِبْدَاعِ كَقِيمَةٍ جَمَالِيَّةٍ وَأَخْلَاقِيَّةٍ وَمَعْرِفِيَّةٍ.

الهوامش:

[1] - إشارة إلى بيت المتنبي الذي يقول: وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ – مِنَ الِّلقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمَلِ.
الديوان، دار بيروت للنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1983، ص 336.

[2] - باول سليان: شاعر ينحدر من أصول رومانية ألمانية، من مواليد 1920، ينتظم ضمن أحد كبار شعراء العالم، توفي سنة 1970. من أعماله الشعرية: "قضبان اللغة" و" وردة الوحدة". ولعله من المهم أن نشير إلى أن عالمية هذا الشاعر تبدو محدودة. وربما اتسق ذلك مع الفكرة الأساسية التي يحاول هذا المقال أن يحيط بها؛ وهي أن الشعر لا يعيش أجمل أيامه.

[3] - أدونيس، زمن الشعر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط5، 1986، ص 9.

[4] - محمود درويش وسميح القاسم، الرسائل المتبادلة، دار العودة، بيروت، ط1، 1990، ص 63.

[5] - وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة 207، مارس، 1996، ص 15.

[6] - المرجع نفسه، ص 15.

[7] - يتداول المهتمون بقضايا الأدب والنقد تصورا يذهب إلى ملاحظة تصاعد الرواية – ديوان العصر الحديث وملحمته الكبرى- وتراجع الديوان القديم الذي هو الشعر، ويستندون في تحليل هذه المعادلة على جملة كبيرة من الأسانيد؛ التي يربطونها في الغالب الأعم بالتحولات الجذرية التي عرفها العالم، وقدرة الرواية على استيعاب هذه التحولات والتعبير عنها، و"عجز" الشعر عن المجاراة والمواكبة كتجل من تجليات تعاليه المركوزة في هويته المفارقة، فضلا عن الإشارات التي تترى إلى أزمة النشر الشعري، وإلى نفور القراء" الجمهور" من غموضه المجاني، وتحول كثير من الشعراء إلى روائيين لأسباب متباينة، ليس أقلها الرغبة في الحصول على الجوائز المغرية التي أسست للرواية. وربما أسهم النقاد أنفسهم في تعميق مجرى هذا الجدل، مثلما نجد عند أدونيس الذي كتب كتابا، سماه: "زمن الشعر"، الصادر عن دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع البيروتية، وعند جابر عصفور الذي كتب" زمن الرواية" الذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1999، ضمن برنامج" مكتبة الأسرة" و"مهرجان القراءة للجميع"- وأنا أصر على هذين التفصيلين الأخيرين- وقد نقل جابر عصفور فقرة وردت في مقال نشرته مجلة "الرسالة" القاهرية عام 1945، يقول فيه صاحبه: "لقد ساد الشعر في عصور الفطرة والأساطير، أما هذا العصر، عصر العلم والصناعة والحقائق، فيحتاج

حتما لفن جديد، يوفق على قدر الطاقة بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنانه القديم إلى الخيال. وقد وجد العصر بغيته في القصة، فإذا تأخر الشعر عنها في مجال الانتشار، فليس لأنه أرقى من حيث الزمن، ولكن لأنه تنقصه بعض العناصر التي تجعله موائما للعصر، فالقصة على هذا الرأي هي شعر الدنيا الحديثة".

والأمر في هذا التصور،ليس مقصورا على النقد والنقاد العرب، بل إنه شائع أيضا في النقد الغربي، إذ كتب "أيان واط Ian Watt" وهو ناقد ومؤرخ أدب أنجليزي، كتابا عام 1957، سماه " The Rise of the Novel: Studies in Defoe, Richardson and Fielding" ويبرز فيه هيمنة الرواية منذ القرن الثامن عشر، بمقابل تراجع الشعر. كما كتب "ميكائيل شميدت Michael Schmidt" كتابا أخذ عنوان: "Novel: A Biography " صدر عام 2004. وفيه يؤكد أيضا تفوق الرواية على الشعر كوسيلة للتعبير الأدبي. وكتب " سفن بيركرت Sven Birkerts " كتابا أخذ عنوانا مثيرا هو: " The Gutenberg elegies: the fate of reading in an electronic age- مرثيات غوتنبيرغ: مصير القراءة في العصر الإلكتروني" الصادر عام 1994. وفيه يناقش دائما تفوق الرواية على الشعر انطلاقا من زوايا نظر مختلفة، يرتبط أغلبها بالتغيرات الثقافية والثورات التكنولوجية الهائلة. ومع أن هذه المعادلة تبدو لصاحب البحث مفتعلة أو هي واهية في أحسن القراءات، لأن الرواية ليست ضدا ولا منافسا للشعر، إذ هي شعر من وجهة نظر معينة، الخطر الذي يتهدد الشعر لا يأتي من الرواية، بل من اللارواية، أي من اللافن؛ من العالم الذي يفقد شعريته يوميا، ومن التقنية التي يتآكل أمامها حجم الحضور الإنساني، إلى غير ذلك مما يشير إلى تراجع الحلم والدهشة وحميمية التعرف والتعارف وهشاشة الإنسان.

[8] - سعد البازعي، لغات الشعر- قصائد وقراءات- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء (المغرب)، بيروت(لبنان)، ط1، 2011، ص 13.

[9] - المرجع نفسه، ص13.

[10] - يبدو أن نظرية الأدب، أو نظرية الشعر، أو حتى المفاهيم النقدية الكبرى، على غرار "الشعرية" مثلا، لا تنطلق في الواقع إلا من التحققات النصية الفعلية، أي من الأعمال الأدبية المفردة، في صياغة مفاهيمها الأولية، غير أنها تتجاوزها بعد ذلك لصياغة "قوانينها" العامة، واستخلاص خصائصها النوعية، لأن النصوص هي مجرد "تحقق ما " لهوية هذا الفن أو ذاك. فالقصيدة الشعرية الواحدة لا تكون كلها شعرا، وقد يكون بعضها شعرا، ولا يكون كذلك بعضها الآخر. والرواية الواحدة هي احتمال واحد من بين عشرات الاحتمالات لتحققها الفعلي. ولذلك فالنصوص جميعها هي بناءات في قاعدة هرم لا تدرك قمته..

[11] - جابر عصفور، تحولات شعرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2016، ص 14.

[12] - خزعل الماجدي، العقل الشعري- الكتاب الأول- دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2004، ص 17-18.

[13] - المرجع نفسه، ص 20.

[14] - فالنتينا إيفاشيفا، على أبواب القرن الواحد والعشرين- الثورة التكنولوجية والأدب- تر: عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1985، ص 8.

[15] - مارك دوغان وكريستوف لابي، الإنسان العاري- الديكتاتورية الخفية الرقمية- تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)، بيروت (لبنان)، ط1، 2020، ص 30.

[16] - المرجع نفسه، 109.

[17] - المرجع نفسه، ص 109.

[18] - المرجع نفسه، ص 11.

[19] - Günther Anders, L'obsolescence de l'homme, t. 2 : Sur la destruction de la vie à l'époque de la troisième révolution industrielle. Traduit par Christophe David, Paris, éditions fario, 2011, p 35

[20] - لونيس بن علي، الكتابة على أطراف النهر- السيرة الكتابية للحراك مقالات رأي ومقاربات نقدية- دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2019، ص 117.

[21] - ينظر : الكتابة المقدسة "الهيروغليفية"، إسراء محمد عبد ربه، مجلة "كان التاريخية"- إلكترونية محكمة- القاهرة، العدد 3، مارس 2009، ص 55.

[22] - يتم إطلاق صفة "الإبداعية" على العملية التي تحدث على مستوى الكاتب، وهي عملية معقدة ومتصلة بكثير من الملكات والعمليات الإدراكية الشديدة التعقيد، كما تطلق لتدل أيضا على العملية برمتها؛ أي تلك التي يبدأها الكاتب المبدع، ويتشكل فيها النص، لتنتهي بالقارئ الذي كان في المعرفة النقدية "القديمة" يمثل طرفا مبدعا أيضا، يشارك في القيام بعملية تأويلية منتجة. وأعتقد أن صفة "الإبداعية " هذه لا تكاد تنسحب كليا على العملية، حين يتعلق الأمر، بكاتب تَقْتَرِحُ عليه البرامج التكنولوجية المختلفة والتطبيقات الرقمية المتنوعة، "خدمات" لا يشارك في إبداعها، بل يتلقاها جاهزة، ويستخدمها معطاة، والمنطق نفسه ينطبق على المتلقي، إذ أمام اتساع دائرة المتلقين، وتباين مستوياتهم، واختلاف تركيبتهم المعرفية، لا أتصور أنهم جميع هؤلاء يشاركون إبداعيا في تلقي النص. فالمتلقي"الرقمي" قد يكون مجرد مستخدم للتكنولوجيات والتطبيقات المختلفة، وتعليقه على نص

ما، أو فهمه لآخر، لا يصدر بالضرورة عن معرفة نقدية ولا ذوقية رصينة، تبرر وصف العملية التي يقوم بها بأنها "إبداعية"، إنه يتعثر بالنص أكثر مما يبحث عنه ويتذوقه، ولذلك أقترح أن تسمى، بعد دخول "الحاسوب" والتطبيقات الرقمية المتنوعة بـ" العملية الأدبية "لا "الإبداعية".

[23] - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، المركز الثقافي العربي، بيروت(لبنان)، الدار البيضاء(المغرب)، ط1، 2005، ص 10.

[24] - يتحدث المختصون اليوم عن ظهور تقنيات كثيرة، من بينها تقنية" NFT" = "الرموز غير القابلة للاستبدال"، تسمح للكاتب ببيع عمله الرقمي بطريقة مضمونة ومحمية. وتقنية NFT هي اختصار لـ "Non-Fungible Token"، وتعني الرموز غير القابلة للاستبدال. وهي عبارة عن أصول رقمية فريدة يتم تسجيلها على "البلوك تشين" (Blockchain)، مما يضمن ملكيتها الأصلية ويمنع التلاعب بها أو تزويرها، وتستخدم هذه التقنية اليوم في مجالات بيع وشراء: أعمال أدبية رقمية، العاب الكترونية، موسيقى وفيديوهات، عقارات افتراضية.....

[25] - أصبحت مشاركة القارئ أو المتلقي تتجسد فعليا، بموجب "التفاعلية" التي تحققت من خلال التطبيقات التكنولوجية، وحدث ذلك في تجارب شعرية وروائية كثيرة، ومن أمثلتها التي لا تلغي كثرتها وتعددها الهائل، ما أنجزه الشاعر العراقي "عباس معن" حين كتب مجموعته الشعرية التي عنوانها" تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق "، وأصدرها في شكل قرص مدمج، وطبيعي أن قراءة هذه القصائد لا يمكن أن تتم إلا عبر الحاسوب، والقارئ مضطر أن يستخدم مؤشر الفأرة للانتقال من قصيدة إلى أخرى، والتي(القصيدة) تكون مصحوبة بالصوت والصورة فضلا عن ميزات تقنية أخرى(ينظر: . الأدب والتكنولوجيا: القصيدة التفاعلية: مشتاق عباس معن نموذجا- فاطمة البحراني، مجلة عود الند- مجلة ثقافية فصلية رقمية- https://www.oudnad.net/spip.php?article2456) كما نجد التجربة التفاعلية حاضرة في تجربة الروائي الجزائري واسيني الأعرج في روايته " مي ليالي إزيس كوبيا- ثلاثمائة ليلة وليلة في جحيم العصفورية"، كذلك الأمر بالنسبة للروائي الجزائري عز الدين جلاوجي، الذي كثيرا ما يدعو قراءه عبر وسائط التواصل الاجتماعي إلى إبداء آرائهم، وتقديم اقتراحاتهم حول بعض الروايات التي يكتب، من حيث العنونة وصفحات الغلاف...

[26] - نقلا عن: مارك كوكلبيرج، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي، تر: هبة عبد العزيز غانم، مراجعة: هبة عبد المولى أحمد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2024، ص 20.

[27] - المرجع نفسه، ص 14.

[28] - ينظر: محمد أشويكة، الإنسان الأيقوني، إبق في مكانك.. وكل شيء بين يديك، ضمن سلسلة كتاب الرافد، العدد 010، أكتوبر 2010، ص 7.

[29] - طرحت السؤال الآتي على CHatGPT، وهو نموذج ذكاء اصطناعي متقدم، تم تطويره بواسطة OpenAI : هل تستطيع أن تكتب شعرا؟ فكانت إجابته: "نعم، أستطيع كتابة الشعر! هل لديك تفضيل معين؟ هل تريده عموديًا على الوزن والقافية، أم حرًا؟ وما هو الموضوع الذي تود أن يدور حوله؟ وهي إجابة لا أعتقد أن شاعرا يمتلك القدرة والجرأة على إعلانها بالسرعة واليقين اللذين رأيتهما في إجابته.!! الطريف أنني حين طلبت منه أن يعطيني بيتين من الشعر "الموزون والمقفى" يدوران حول قمر يطل بين السحاب، (وقد تعمدت اختيار هذا الموضوع الرومانسي الوصفي) رد علي في أقل من ثوان، قائلا:

أطلَّ البدرُ بين الغيمِ يسري ** كَدُرٍّ في الدُّجَى يَزْهُو بنورِ

كأنّ الليلَ يُخفيهِ اشتياقًا ** ويُبديهِ ليـــلهو في الظهورِ

والبيتان من بحر الكامل.

[30] - كتب "رفائيل غايارد Raphaël Gaillard، وهو طبيب نفسي، وباحث في علم الأعصاب، كتابا سماه" : L'homme augmenté futurs de nos cerveaux" والذي يمكن ترجمته إلى العربية بـ: "الإنسان المزيد- مستقبل أدمغتنا" وفيه إشارات واضحة إلى تمدد قدرات الإنسان بفعل الأذرع التكنولوجية التي أصبحت بفعل الاستخدام المشروط حينا، وغير المشروط أحيانا أخرى، امتدادا للإنسان فغدا كائنا "مزيدا".

[31] - محمد أشويكة، الإنسان الأيقوني، إبق في مكانك..وكل شيء بين يديك، ضمن سلسلة كتاب الرافد، العدد 010، أكتوبر 2010، ص 51.

[32] - كتب "لي مكنتاير" وهو فيلسوف أمريكي معاصر، مهتم بفلسفة العلم، يعمل باحثا في مركز فلسفة وتاريخ العلم بجامعة بوسطن، بصدد انخراط العالم في صناعة الشك، وإنتاج اللايقين، وإنكار الحقائق وتقديم الكذب كبديل، كتابا سماه" ما بعد الحقيقة Post-Truth "، يحلل فيه الظواهر الآنفة الذكر.

[33] - شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة 355، سبتمبر 2008، ص 10.

[34] - صلاح فضل، تحولات الشعرية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 2002، ص 8.

[35] - يستخدم الناقد صلاح فضل وصف" الحريق الشعري" لوصف المرحلة الشعرية أو الثورة الشعرية التي تقودها حركة أو تيار شعري معين، وهو توصيف مجازي لتأكيد التأثير القوي لهذ الحركة أو تلك.

[36] - تذهب كثير من الدراسات النقدية والتاريخية التي تناولت مجلة "شعر" في سياقاتها الداخلية والخارجية إلى رصد حالة من عدم الانسجام كانت سائدة بين أقطابها وشعرائها، فقد اختلف هؤلاء في مفاهيم مركزية؛ هي أساس تصورهم الإبداعي والثقافي، مثل مفهوم الشعر ووظائفه، ومفهوم الحداثة وحدوده، وحدود ودرجة الوفاء للقيم الجمالية دون القيم القومية والسياسية والوطنية المختلفة. أما خارجيا، فقد بدت المجلة وكأنها سفينة تبحر في داخل عاصفة، تتقاذفها فيها أمواج الرفض العام، وعدم الفهم الواضح لمهمتها ووضع الحواجز في طريق إبحارها أحيانا، فضلا عن خلافات شخصية كانت تطفو على السطح، في أحايين أخرى.

[37] - جابر عصفور، استعادة الماضي-دراسات في شعر النهضة- دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، ط2، 2002، ص 14.

[38] - المرجع نفسه، ص 14.

[39] - ينظر: يوسف الخال، دفاتر الأيام- أفكار على ورق- رياض الريس للكتب والنشر، لندن، دط، دت، ص 7. (مقدمة نزار قباني)

[40] - المصدر نفسه، ص 7.

[41] - المصدر نفسه، ص 15.

[42] - هناك مفارقة بينة بين مرحلتين في التعامل الإعلامي والصحفي مع الأدب والشعر خصوصا، فقبل أن تظهر التكنواوجيات الإعلامية المعاصرة، كانت الصحف والجرائد والمجلات منابر حقيقية للشعر والشعراء والقصاصين، وكانت تقدم في الآن نفسه مادة غنية للنقاد والمنظرين وحتى مؤرخي الأدب لبناء تصوراتهم النظرية حول ما ينشر. أما راهنا فإن المشهد الأدبي والشعري العام يبدو مشتتا ومفتتا، بحيث يعسر فعلا تتبع مساراته ورصد جميع تحولاته.

[43] - عباس عبد جاسم، الطلوع وسط انهيار اليقينيات- قصيدة النثر مابعد مرحلة الرواد- سلسلة النقديات المعاصرة، مومنت كتب رقمية TM، لندن، 2014، ص 22.

[44] - عرف الشعر الجزائري المعاصر هذه التجربة الشعرية التشاركية، في مرحلة الحجر الصحي، وهي التجربة التي شارك فيها ثلاثة شعراء جزائريين: هم نذير طيار، ليلى لعوير، ونور الدين درويش، وحمل عملهم الشعري عنوان: "أشعار في زمن الحجر" وصدر عن مؤسسة "منشورات فاصلة" بقسنطينة- الجزائر- في طبعته الأولى، سنة 2021. وربما عُدَّت هذه التجربة رائدةً في العالم العربي كله.